سلسلة المشكلات السلوكية للأطفال

التلفزيون.. وتربية الأطفال

تأليف د. ديفيد إنجلاند

ترجمة:

د. محمد عبد العليم مرسي

مكتبة العبيكان


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الاخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

التلفزيون.. وتربية الأطفال

تأليف د. ديفيد إنجلاند
جامعة ولاية لويزيانا-الولايات المتحدة الأمريكية

ترجمة: د. محمد عبد العليم مرسي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

مكتبة العبيكان

ⓗ مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

إنجلاند، ديفيد

التلفزيون وتربية الأطفال. / ديفيد إنجلاند؛ محمد مرسي ـ ط٢.
ـ الرياض، ١٤٢٦هـ

١٠٧ص، ١٤X٢١سم

ردمك: ٠-٨١٤-٤٠-٩٩٦٠

١- التلفزيون والأطفال أ - مرسي، محمد (مترجم)
ب - العنوان

ديوي ٧٩١,٤٥٥ ٤٨٢٥ / ١٤٢٦

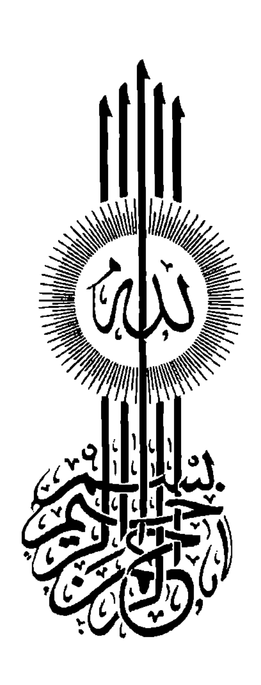
ردمك: ٠-٨١٤-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٤٨٢٥/١٤٢٦

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

الناشر




بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

الموضوع	الصفحة

مقدمة المترجم*

لقد دخل التليفزيون، ذلك الجهاز العجيب منازلنا، وشغل به صغارنا والشباب، ولم يبتعد عنه كثير من كبار السن فينا، نساؤهم والرجال. وأصبح من المسلَّم به أنه لا يخلو بيت -في الخليج- من جهاز.. وفي بعض الأحيان أكثر من جهاز، حتى في حجرات النوم..!!

ورغم أننا نحن الذين اشتريناه، ودفعنا ثمنه، واستدعينا برامجه المختلفة.. الجيدة والرديئة، وجعلناها مائدة عامرة لا تنفض ولا تنتهي أمام أفراد أسرنا، إلا أننا بدأنا نصرخ من النتائج التي ما توقعناها، ومن الآثار التي ما حسبنا لها حساباً، ولا أعددنا لها أطفالاً ولا شباباً..!!

---

* الدكتور محمد عبد العليم مرسي أستاذ التربية، بقسم التربية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وازداد الأمر خطورة حين ألحقنا بالتلفزيون جهازاً آخر . . هو الفيديو . . وبدل أن كنا نشكو أموراً محلية نختلف عليها أو نتفق مما تسمح به أجهزة الإعلام كي يبث خلال قنوات التلفزيون المحلية، أصبحت أفلام الفيديو - وهي كلها مستوردة من عوالم الأجانب الذين يختلفون عنا ديناً . . وقيماً وتقاليد، وما جاء منها من بلدان عربية أسوأ في تقليده ومحاكاته من الغرب الذي نحذر منه . . ! !

وأصبح الإقبال على محلات الفيديو لشراء الأشرطة يمثل «عادة» أسبوعية، أدمن عليها آلاف الشباب في بلاد الخليج، وتسربت من حياتهم ساعات بالملايين -دون مبالغة- يقضونها في كسل غريب، وخدر مميت، أمام ذلك الجهاز.

وبعد إهدار تلك الأوقات الكثيرة خرج علينا أنماط من الشباب ممسوخو الشخصية من جراء ما شاهدوا، وحاولوا التقليد فما وعوا، ودخلت حياتنا أنماط من الميوعة لا تليق بالرجال، وبخاصة في مجتمعات تريد أن تعوض ما فاتها، وأن تقف على أقدامها بين المتقدمين.

كما ظهرت أنواع من الممارسات المنحرفة التي أقبلت

على المخدرات والمسكرات دفعت بأصحابها إلى أنواع من الجرائم . . أبسطها السرقات، وبعضها وصل إلى قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

ونظر بعض منا، خاصة من الغيورين على أمتهم، إلى المستقبل القريب، فرأوا أننا مستهدفون من جانب أعداد من الدول التي ما فتئت تدبر لنا وتكيد، وسمعوا وقرؤوا عن «البث المباشر» المنتظر ومخاطر وصوله إلى بيوتنا، وحاول البعض أن يهون من الأمر دون النظر في عواقب الأمور ومخاطرها.

والخلاصة . . أننا أصبحنا في دوامة لا نعرف لأنفسنا منها خروجاً، فلا نحن بقادرين على إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، بحيث نحذر أنفسنا من دخول التلفزيون إلى بلادنا وبيوتنا، ولا نحن بقادرين على أن نطلب من أفراد المجتمع أن يغلقوا ذلك الجهاز في بيوتهم، ولو فعلنا ما استجابوا. وغاب عنا جميعاً أن ذلك الجهاز يمكن أن يكون مفيداً ونافعاً إلى أبعد الحدود بشرط واحد. . وهذا الشرط هو تربية «الإنسان ليتعامل» معه.

إن الإنسان هو الأساس في كل أمر، وهو الأساس في

كل شيء، وتربيته هي العنصر الوحيد الفعال في كل ذلك، فلقد وُجدَ السلاح على وجه الأرض -بشكل أو بآخر- منذ هبط الإنسَان على ظهرها، ولكن أمر استخدامه.. في الخير أو الشر بقي مرهوناً بمعتقدات من يحمله وقيمه، وبمن يعرف الحلال والحرام، والله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بأن يعدوا للكفار والمشركين ما استطاعوا، ولكنه حرم عليهم قتل النفس.. أي نفس.. إلا بالحق.

ولقد قاتل المسلمون الكفار والمشركين، دفاعاً عن الدين الإسلامي، ونشراً له، في مشارق الأرض ومغاربها، وما سمعنا.. ولا قرأنا.. أن جيوش المسلمين في فتوحاتها قد أحرقت قرية على من فيها، كما فعلت دول كبرى يدعي أهلها التحضر، وما سمعنا.. ولا قرأنا.. عن اغتصاب للفتيات والنساء كما فعلت قوات الدول الكبرى، بل دول قميئة، حين ملكت السلاح... إنه حتى المشركون كانوا آمنين في حمى المسلمين الأقوياء ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦]..

إذن هو الإنسان . . بدينه ومعتقده . . بقيمه وتربيته . . هو الذي يستطيع أن يقف في وجه الفساد والانحراف والزيغ والضلال، ومن هنا إذا أردنا أن نحارب رذيلة، وأن نقاوم بدعة، وأن نقف في وجه انحراف، وأن نمنع مفسدة . . إذا أردنا كل ذلك . . فما علينا إلا أن نتجه للإنسان نقوّمه ونربيه، نقوي يقينه ونوسع أفق مداركه، ومن بعد ذلك «نلقيه في اليم» ولا نخاف. إن تربية هذا الإنسان التربية الإسلامية الصحيحة جعلته هو «الرقيب» على نفسه فيما يشاهد وفيما لا يشاهد، وخذوا العبرة من أمر الله -سبحانه وتعالى- للمسلمين بالصوم، حيث يمتنعون عن الطعام والشراب والجماع الحلال، امتثالاً لأوامر الله لهم بذلك، علماً بأنه لا يراهم إلا هو جلت قدرته، فلماذا لا نربي أبناءنا على الطريق نفسه التي أمرنا الله . . بحيث يكون الزجر للنفس . . من داخلها، والامتثال لأوامر الحلال والحرام . . من ذاتها . . ؟

إننا إن فعلنا ذلك قضينا على الشر في مهده، وأوقفنا تجارة لشياطين الإنس، وجعلناها عرضة للبوار. إني لا أُسرُّ حين أعلم أن بعض أهل الغيرة من المسلمين قد أحرقوا عدداً من الشرائط الفاضحة، ولقد كنت سأفرح لو أن جهودنا

اتجهت لتربية الشباب أكثر . إن من يُحْرَقُ له محل كامل من محلات الأشرطة يستطيع استيراد غيره وتعويضه . . والشباب هم الذين يدفعون . . أما إن حصنّا الشباب -بداية- فقد أغلقنا باباً من أبواب الشياطين، وحرمناهم قطف الثمار، وحمينا البيت والمدرسة . . والمجتمع . .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا، والذي كتبه مفكر أمريكي خبير في التربية والتلفزيون، أقدمه لأبناء أمتي، مراعياً فيه حديث رسول الله ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها» . . . وقطعاً هناك أمور نختلف فيها مع المؤلف، ولكن -على وجه اليقين كذلك- هناك أمور يمكن أن نفيد منها، ومن بينها :

- يسأل المؤلف سؤالاً عميقاً حول تنشئة الأطفال، ومن الذي تعهد إليه هذه المهمة -في أمريكا طبعاً- فيقول هل سنترك أطفالنا للتليفزيون كي ينشّئهم لنا . . ؟

ولعلي أضيف أنا من جانبي أمراً آخر لنا هنا في الخليج، لقد ترك نفر كثير من أهل الخليج أمر تنشئة أطفالهم للمربية الأجنبية، فإذا أضيف إلى ذلك ترك الأطفال للتليفزيون كي يسهم في تنشئتهم، فكم يبقى لنا من الأثر في تربية هؤلاء

الأطفال؟ خاصة وقد تأكدنا من الآثار السلبية للمربية الأجنبية، وقد كتب حولها الكثير*.

- يسأل المؤلف سؤالاً مهماً عن الوقت الذي يقضيه الأطفال أمام التليفزيون كل يوم، ويجيب نفسه قائلاً: إنه يتراوح بين ٥-٦ ساعات يومياً، وإن الكبار يمضون أمامه ٤ ساعات. ثم يقول إن هذه الأرقام عبارة عن معدلات ومعنى ذلك أن هناك أفراداً يقلون عن ذلك، ومن ثم هناك أفراد يزيدون عن ذلك، فهل حسبنا نحن في بلادنا الساعات التي يقضيها أطفالنا أمام التليفزيون، وهل قارنا هذا الوقت -أمانة بيننا وبين أنفسنا- بالوقت الذي نقضيه نحن معهم يومياً.. إن كنا حقاً نفعل ذلك..؟

- كثيرون منا يتهمون التليفزيون بأنه هو العنصر الوحيد المسؤول عن تدني التحصيل الدراسي لكثير من أطفالنا، وهو وراء عدم انتباههم لمعلميهم في المدارس.

والواقع أن ذلك الاتهام غير عادل، ولكن كثيرين منا

* من أراد الاستزادة من هذا الجانب المفزع -فعلاً- فعليه أن يرجع لما كتب فيه خلال السنوات القليلة الماضية، ومن بينه كتاب للمترجم بعنوان: التربية ومشكلات المجتمع في دول الخليج العربية، مشكلة العمالة الأجنبية (معالجة إسلامية)، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٩هـ.

يستسهلونه، وبخاصة بعض المعلمين. إن التلفيزيون قد يكون له آثار سلبية في التحصيل الدراسي (وينبغي أن تثبت لنا الدراسات الميدانية ذلك حتى يكون كلامنا عن علم) ولكن هل التليفزيون -حقاً- هو المسؤول **الوحيد** عن ذلك. . ؟؟

هل نعفي المعلم من جزء من المسؤولية. . ؟ وهل نعفي المنهج غير الملائم. . ؟ وهل نعفي الحشو الزائد في تلك المناهج. . ؟ وهل طرق التدريس المستخدمة معفاة من المسؤولية. . ؟ هل الأسرة لها علاقة بهذا الموضوع، أم أنها ألقت بحملها على أبواب المدرسة وأعفت نفسها -دون وجه حق- من المساءلة. . ؟ وإذا كان كل أولئك شركاء في المسؤولية فماذا الإشارة بأصبع الاتهام للتليفزيون. . وحده. . ؟؟!!

- إننا لو سلمنا بأن التليفزيون هو **الفاعل الوحيد** لكل التهم التي نتهمه بها مثل: الانحرافات الأخلاقية - وضياع القيم - وهبوط مستوى التحصيل الدراسي - وضعف الأطفال في القراءة. . بل وانصرافهم عنها أصلاً - وتفكك الأسرة. . إلخ، أقول لو سلمنا بأن التليفزيون (اللعين) خلف كل أولئك، فلعلنا نسأل أنفسنا سؤالاً نعتقد وجاهته وهو:

لو رفعنا أجهزة التليفزيون من منازلنا -وهذا سؤال افتراضي بطبيعة الحال- هل ستصلح جميع أحوالنا، بحيث تعود القيم الطيبة فوراً لمعاملاتنا، وتتوقف الخلافات الأسرية، ويتقدم الأولاد في دراستهم، ويزداد إقبالهم على القراءة. . . إلخ، إن تعليق قضايانا. . أو مشكلاتنا الاجتماعية على عنصر واحد أو أحادي أمرٌ ينافي العلم، كما أن فيه تسطيحاً وتبسيطاً للأمور ينبغي أن نتبعد عنه، خاصة إذا كنا جادين في مواجهة تلك المشكلات وإيجاد حلول علمية عملية لها.

- إذا كنا نعترض على كثير مما يبث عبر قنوات التليفزيون، ونرى أنها تدفع بأبنائنا إلى مسالك لا نرضى عنها، فلماذا لا نكون إيجابيين ويكون لنا رأي نعلنه صراحة للمسؤولين عن أجهزة التليفزيون في بلادنا، من خلال خطابات صريحة نكتبها لهم، أو من خلال نشر آرائنا في الصحف والمجلات التي نقرأها ويقرأونها كذلك. . ؟

إننا بصمتنا. . وسلبيتنا إنما نعطيهم انطباعات مؤداها أننا راضون عما يفعلون، بل ربما سعداء بما يقدمون. . . ومن هنا -بصراحة- لا ينبغي أن نلومهم هم. . بل نحن الملومون. . !!

- لماذا لا نطالب -نحن المشاهدين- أقول: لماذا لا نطالب العاملين في أجهزة التليفزيون بأن يكثروا من البرامج الإصلاحية التي تحارب الكسل.. والإهمال.. والتسيب.. والرشوة.. وجميع أنواع الانحراف، بحيث يصبح الجهاز (المنحرف) جهازاً للوقاية وللعلاج في آن واحد، وبحيث نوقف الإحساس بأن ذلك الجهاز القابع في كل بيوتنا هو «عدو لنا»، ويتحول إلى إحساس بأنه جهاز نافع ومفيد ومعين لنا على تربية أبنائنا وتنشئتهم.

- ينصح المؤلف الآباء والأمهات بألا يتركوا أطفالهم لمشاهدة التليفزيون مشاهدة غير هادفة، وغير مركزة. بمعنى أننا لا نقول لهم مثلاً: مسموح لكم مشاهدة التليفزيون ثلاث ساعات في اليوم أو أربعاً، ولكن ينبغي أن نكون واعين لنوعية البرامج التي نسمح لهم بمشاهدتها، ومعنى ذلك أننا ينبغي أن نعرف مسبقاً ما سوف يشاهدونه، وأن نجهد أنفسنا في ذلك.. ونتحمله، تماماً مثلما ننصحهم بقراءة كتاب جيد.. بعينه، ونمنعهم من تصفح كتاب فيه فكر منحرف.

ومن جانب آخر هناك كلمة خلف الكلام السابق، أي الانتقاء في المشاهدة، وهي أننا بانتقاء ما يشاهده الأطفال

نكسب أمراً آخر ، حيث سنوفر كثيراً من الوقت، لأن البرامج الجيدة حقاً . . نادرة .

- لعلنا ننظر لأنفسنا في المرآة، ونواجهها بصراحة، إننا إن فعلنا ذلك فقد نعدل من سلوكياتنا نحن، كما قد نقلل من لوم أطفالنا، ولنسأل أنفسنا سؤالاً صريحاً عن البرامج التي نشاهدها، وعن الأوقات التي نضيعها أمام التليفزيون. إن الأبناء يقلدون الآباء . . دون شك، والتقليد أمر يعرفه التربويون كثيراً، ويعرفون آثاره .

وأخيراً . .

هذه نظرات في مشاهدة التليفزيون، وفي آثاره في الأطفال وتنشئتهم، وفي مسؤولية الأسرة، والمدرسة، والمجتمع حيال ذلك الجهاز الذي دخل كل بيت، وأثر في كل فرد .

وقد تعودنا في علاجنا لمشكلاتنا الاجتماعية أن نعود إلى مؤسساتنا التربوية نستلهمها الحلول، ونأمل منها أن ترينا الطريق، وأن تبين لنا الاتجاه الصحيح، فإذا كان منا من يعد التليفزيون «نقمة» من النقم، فأين دور مؤسساتنا التربوية في تحويله إلى «نعمة» نستفيد منها . . بسمةً خالصة . . وضحكةً من الأعماق لموقف تمثيلي بريء طريف . . وعبرة تاريخيةً من

أجداد عظام صنعوا التاريخ . . وحكمةً بالغة من شيخ جليل يبين لنا الحلال من الحرام . . وعلماً فياضاً من عالم متبحر يبين لنا عظمة الخالق -جل وعلا- في الكون من خلال خلية حية تتحرك، أو زهرة تتفتح، أو بذرة تنبت، أو سمكة صغيرة تخرج من بيضة، أو طائر يهاجر آلاف الكيلومترات في رحلة رسمها له خالق الكون جل وعلا . . إلخ .

لماذا لا نحول التليفزيون في مجتمعاتنا إلى سلاسل لا تنتهي من الخبرات العربية . . لنا ولأطفالنا . . نعرف منه عن أنفسنا . . وعن الآخرين . . عن مشكلاتنا وكيف نعالجها، وعن عوالم الآخرين وكيف نتعامل معهم، عن ثقافتنا . . وثقافاتهم، لنعرف قيمة ما عندنا فنعضّ عليه بالنواجذ .

إن التليفزيون يمكن أن نحوله إلى نعمة نحمد الله من خلالها، إذا عرفنا كيف نستخدمه، وكيف نتعامل معه، ولو عرفنا كيف نربي أبناءنا على مشاهدته والتعامل مع مواقفه من موقع المسؤولية، والتربية الصحيحة . . وإن علينا فقط أن نهتم . . وأن نحول اهتمامنا . . إلى فعل، وأن نبذل الجهد المطلوب . .

والله من وراء القصد . . وهو الهادي إلى سواء السبيل سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم

صدر هذا الكتاب منذ بضع سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدولة التي توجد بها أكبر شبكات التليفزيون العالمية، وكذا حيث توجد أكثر محطات التليفزيون لدى أية أمة أو دولة على وجه الأرض، فحسب إحصاءات عام ١٩٩٠م يوجد بها ١٢٤٧ محطة تليفزيون، تبث ملايين الساعات على مدار الساعة، لأفراد الشعب الأمريكي، كما أنها تصدِّر ساعات تليفزيونية بالآلاف على شكل برامج منوعة لدول العالم المختلفة، وجزء منها كبير يصل إلى بيوتنا نحن.. حيث فلذات أكبادنا.

والكتاب صادر عن مؤسسة Phi Delta Kappa التربوية، ضمن سلسلتها التثقيفية الطيبة التي تستكتب فيها العلماء في مجال التربية، الذين يكتبون مقدمين علمهم وخبرتهم وتجربتهم في موضوعات تهم القارى المثقف الذي

يعرف قيمة التربية ويتحقق من أثرها في حياة المجتمع -أي مجتمع- والذي يدرك دور التربية في ازدهار المجتمع وتقدمه، وكذا دورها في الحفاظ على قيمه وكيانه كله .

مؤلف الكتاب :

هو د. «ديفيد إنجلاند David A. England»، أستاذ المناهج بجامعة ولاية لويزيانا، في مدينة Batan Rouge، الذي اشتهر ببحوثه العلمية ومقالاته الهادفة في ميداني الأطفال والتليفزيون .

والرجل إلى جانب عمله الجامعي يعمل مستشاراً في مجال التليفزيون والأطفال لكثير من الهيئات والمؤسسات، وهو كذلك عضو في المجلس الوطني الأمريكي الخاص بوسائل الاتصال والإعلام، وقد ترأس لجنة خاصة يتعلق عملها «بثقافة التليفزيون Television Literacy»، كما أنه مستشار للعديد من الجهات المهتمة بمجال التربية والتليفزيون Television Education . وقد كان له حضور واضح في كثير من البرامج والمؤتمرات الوطنية التي تبنى خلالها الدفاع عن الاستخدام المسؤول للتليفزيون . . في البيت والمدرسة .

وفي الوقت الذي كان فيه «إنجلاند» يدرِّس في جامعة ولاية فيرجينيا الغربية West Virginia University قام هو و«ساندرا دي كوستا Sandra De Cista» بوضع مقرر دراسي مدته أربع ساعات يدرسه طلاب الدراسات العليا من المعلمين، وكان المحور الأساس لهذا المقرر يدور حول «مشكلات وإمكانات التليفزيون في حياة الأطفال». ولقد كان هذا المقرر واحداً من المقررات النادرة التي عرفت بتعرضها الجاد للجوانب الإيجابية والسلبية لتأثيرات الدعاية التجارية في التليفزيون.

وإضافة إلى عمله في مجال «التربية والتلفيزيون» نجده ذا إسهامات في مجال تخصصه العام الذي هو «تدريس اللغة الإنجليزية» كما أن له نشاطاته، خلال الصيف خاصة، حيث يشترك في معسكر للأطفال يتعلق بفنون اللغة ويديره، ورغم كتاباته الناقدة للتليفزيون إلا أنه يعترف بأنه يستمتع بهذا الجهاز السحري في مناسبات كثيرة هو وزوجته وبناتهما الثلاث.

موضوعات الكتاب:

* لماذا هذا الاهتمام الكبير فيما يتعلق بالتليفزيون والأطفال..؟

* ماذا يقلق المعلمين في موضوع التليفزيون والأطفال..؟

* محاولة لفهم التليفزيون في ثقافتنا (الأمريكية طبعاً).

* التليفزيون والقدرة على التأثير.

* التليفزيون سارق الوقت TV the time stealer.

* التليفزيون والخبرة الممتدة.. أو الموسعة.

* توصيات لتطوير منهج تربوي تليفزيوني في المدارس.

* بعض القواعد التربوية في استخدام التليفزيون.. للآباء والأمهات.

ولعلنا بعد ذلك نقوم -سوياً- لنستعرض ما كتبه د. إنجلاند، ذلك الخبير التربوي التليفزيوني، فعسى أن يكون فيه شيء من نفع، ولو بعض نفع، آملين أن نكون على الدرب الصحيح الذي استنَّه لنا سيد الخلق أجمعين، حين دلنا على أن «الحكمة ضالة المؤمن.. أنى وجدها فهو أحق الناس بها».

لماذا هذا الاهتمام الكبير فيما يتعلق بالتليفزيون والأطفال. . ؟

من اللحظات المبكرة في حياتها، كان التليفزيون هناك، أمام ابنتي، وإن لم تعرفه بشكل سريع، لقد كان ذلك الجهاز الرائع جزءاً من عالم ابنتنا الصغرى هذه حين دخلت الحياة من خمس سنوات مضت.

لقد كان بيت «جيسيكا Jessica» -ابنتي- مثل معظم البيوت التي حوله. . لا يكاد يختلف عنها، فلقد خصصت به حجرة كاملة يشار إليها دوماً على أنها «حجرة التليفزيون The TV Room». . . ولقد امتلأت هذه الحجرة بقطع الأثاث التي برزت من بينها قطعة رمادية نظمت حولها القطع الباقيات لتناسب الجلسة حول جهاز التليفزيون.

وخلال ساعات من وصول «جيسيكا» إلى المنزل* كان هذا الجهاز المثير ذو الصخب العالي قد شد انتباهها، ومما لا شك أنه يسلينا ويملأ أوقات فراغنا بحياة خاصة مثيرة زاهية الألوان لا يستطيع أن يقدمها جهاز آخر. وليس عجيباً أنني

* يقصد المؤلف وصول ابنته من المستشفى، حيث وضعتها أمها هناك، مثل كل النساء الأمريكيات.

وزوجتي كان علينا أن نقرر: هل سندع جهاز التليفزيون كي ينشِّئ ويرعى ابنتنا «جيسيكا»، ويصبح أفضل أصدقائها، وكان علينا أن نفكر فيه وفي أمره معها، هل سيوسّع خبرتها ويعمقها، أم أنه سوف يسرق شبابها. . ؟

حقاً، إن التليفزيون كان هناك. . منذ البداية، تماماً كما هو الوضع العادي بالنسبة لأطفال الأمة الأمريكية، حيث هو معهم منذ أيامهم الباكرة، كما أن هناك مجلة صغيرة، تسمى دليل التليفزيون TV Guide*، وهي تعد جزءاً من البيئة المحيطة بمعظم أطفالنا كذلك. وهي مجلة تتغير كل أسبوع، وتدخل البيوت الأمريكية أكثر من أية مجلة أخرى.

لقد عوّدنا أبناءنا على أن يأكلوا في حجرة معينة، حيث نمدهم بصوان مستطيلة للطعام، ورغم عدم مناسبتها أصبحت ملازمة للجلوس أمام التليفزيون، بحيث نطلق عليها «صواني التليفزيون TV Trays». ولقد كان أطفالنا الصغار -قبل ذلك- يزحفون من تحتها، أو يلعبون من فوقها، أما الآن فاستخدامها الأساسي هو لتناول الطعام عليها أمام التلفزيون.

---

* هي مجلة من القطع الصغير، وقد تصل مائة صفحة، وهي تشتمل على جميع برامج التليفزيون التي تقدمها محطات التليفزيون المختلفة، وأوقات بثها. . المترجِم.

وفي غالب بيوتنا نجد أن هناك جهازاً آخر للتليفزيون، ويكون في العادة أصغر من الجهاز الأول، ويوضع في حجرة النوم، وأعترف أني أنا وزوجتي قد عرف عنا أننا نتناول في مناسبات عديدة طعام العشاء على صواني التليفزيون هذه، بل أكثر من ذلك في الليلة نفسها التي نتناول فيها هذا العشاء، قد نتناول -في وقت متأخر- وجبة أخرى خفيفة من الطعام السريع Snack.

وعلى أي الأحوال، لا أعد نفسي، وكذا أطفالي الثلاثة غير مدمنين للتليفزيون TV addicts، على الرغم من أنهم نشّئوا في عصر الفيديو، ولكني أشاهد التليفزيون بعض الوقت، وكذا هم يفعلون.

ونتيجة لهذا الوضع أعتقد أني في موقع طيب يسمح لي بأن أتحدث عن التليفزيون والأطفال معاً، بطريقة أفضل من كثير من الكتَّاب الذين يكتبون عن هذا الموضوع، في حين أنهم لم يشاهدوا تليفزيوناً ولم يتعاملوا مع أثره في حياة الأطفال.

إن التليفزيون جهاز ذو إغواء كبير، كما أنه مجاني ومتاح للجميع دون استثناء، وعوامل جاذبيته وإغرائه غير محدودة. . وهي لا تتحدد بالإقليم، ولا بالسن، ولا

بالمستوى الاقتصادي أو الاجتماعي . . إنه متاح لأصغر أطفالنا أعماراً، وهو كذلك بالنسبة لأكبر مواطنينا سناً، متاح للأصم وللأعمى على السواء. بل إن الأفراد القلائل في مجتمعنا الذين لا يشاهدون التليفزيون -وهذا أمر مدهش- يعرفون الكثير عنه، ومن هنا نقول: ليس هناك فرد لم يتأثر به، أو يمكن أن يكون غير واع به وبما يمثله.

ولنتحدث على سبيل المثال عن المسلسل التليفزيوني الأخير M.A.S.H أو عن حلقاته الأخيرة التي بثت عام ١٩٨٣م، إذا لم نكن قد شاهدنا الحلقة مرة واحدة في الأسبوع، فمن منا لم يقرأ ما كتب عن تلك الحلقات في الجرائد والمجلات؟ أو من منا لم يستمع إلى أغاني تلك الحلقات من أجهزة الراديو؟ بل أكثر من ذلك من منا لم يشاهد الأشياء التذكارية عن الحلقات نفسها والتي كانت تباع في المحلات، بل إننا شاهدنا كثيراً من الناس وقد ارتدوا قمصاناً خارجية قصيرة الأكمام، وعليها شعار مسلسل M.A.S.H وقد توجهوا لحضور حفلات خاصة أقاموها لهذا المسلسل. أنا شخصياً لم أشاهد الحلقات الأخيرة من هذا المسلسل، ولكني على وجه اليقين كنت واعياً بأنها أذيعت من خلال ما سمعت وما شاهدت حولها.

إن من نشاطاتي المفضلة مع الشباب الصغار (يمثلهم طلاب المرحلة الثانوية) أن أستقصي إذا كان بين جماعاتهم شخص واحد لا يشاهد التليفزيون نهائياً، أو يشاهده قليلاً.

وحينما أعثر على ضالتي من هؤلاء أسأل الشخص أو الشخصين اللذين يقولان إنهما لا يشاهدان التليفزيون: هل سمعا عن «كوجاك Kojak»*؟ فتأتيني الإجابة بأنهما يعرفانه، فأطلب منهما وصفه.. فيصفانه..!! وحينئذ أسألهما أن يكملا عبارات معينة حذفت منها كلمات مثل:

«أنا أحب...».

«مورك Mork و...».

«... المخاطرات».

ولقد كانا يجيبان عن هذه الأسئلة الثلاثة إجابات صحيحة، وكنت في بعض الأحيان أطلب منهما أن يستخرجا صورة «جي. آر. يوينج J. R. Ewing»** من بين عشر صور أخرى، وكانت تأتيني إجاباتهم صحيحة..

* ممثل أمريكي شهير، وصاحب حلقات بوليسية تذاع أسبوعياً.

** ممثل أمريكي أشهر، وصاحب حلقات تليفزيونية اجتماعية تسمى Dallas، وهي تذاع أسبوعياً منذ نحو عشرين عاماً إلى الآن، وقد غطت شهرتها وبثها جميع أنحاء العالم تقريباً.. المترجم.

في المرة الثالثة، وهؤلاء هم الطلاب الذين كانوا يقولون: إنهم لا يشاهدون التليفزيون، وأعتقد أن النقطة التي نريد تسجيلها هنا قد أصبحت واضحة تماماً من إجابات هذه المجموعات من الطلاب، وهي أنك لا تحتاج لمشاهدة التليفزيون من أجل أن تعرف عنه أموراً كثيرة.

إن كثيراً من البالغين يظنون أن الأطفال يشاهدون التليفزيون أوقاتاً طويلة، في حين أن الإحصائيات تبين أن ذلك الوضع يختلف ويتفاوت طبقاً لدراسات عدة أجريت، وعلى الرغم من أن الإنسان قد ينظر إلى هذه الإحصاءات على أن بعضها يقلل من هذه المشاهدة كان هناك شبه إجماع على أن الأطفال الأمريكيين ينفقون كثيراً من الوقت أمام الشاشة الصغيرة.

أما تقديري أنا لهذا الموضوع (وهو للعلم مبني على تركيبات مؤلفة من بين تقديرات ومسوحات عدة) فهو أن الأطفال الأمريكيين «يشاهدون» التليفزيون بمعدل مقداره خمس أو ست ساعات يومياً، وأن الأطفال الأصغر منهم تكون مشاهدتهم أكثر ممن يكبرونهم، وسوف نفصل ذلك الأمر فيما بعد، وبخاصة فيما يتعلق بعبارة «مشاهدة التليفزيون».

أما الكبار الناضجون فإن هناك تقديراً معقولاً يقول: إنهم يشاهدون التليفزيون يومياً بمعدل أربع ساعات. والواقع أن مثل هذه التقديرات تخيفني.. لأنها تمثل «متوسطات Averages»، ولأننا نفترض كذلك أن هذه المتوسطات صحيحة أو دقيقة، حيث إنه في مقابل كل مشاهد معقول أو خفيف (المشاهدة)، أي يشاهد ساعة أو ساعتين يومياً، فإننا بالقطع سوف نجد أن هناك عدداً من المشاهدين الذين يشاهدون التليفزيون أوقاتاً طويلة جداً.

ولكن لماذا يقضي الكبار والصغار وقتاً طويلاً -هكذا- أمام جهاز التليفزيون..؟ لعل الإجابة عن هذا السؤال تأتي مما لاحظته في حالة أبنائي أنا. إن ابنتي «جيسيكا» قد جذبها ذلك الجهاز حتى قبل أن تكمل العام الأول من عمرها، فحينما كنا نتركها تتدحرج وحدها على أرضية الحجرة، ألاحظ أنها كانت تتدحرج باستمرار في اتجاه التليفزيون حينما يكون مضاء (مفتوحاً)، بل أكثر من ذلك أنها كانت بعد أن تتدحرج في اتجاهه.. كانت تركز عينيها عليه وتشاهده. لقد كانت هناك لعب أطفال كثيرة حولها في الحجرة، كما كان هناك من أفراد العائلة من يمكن أن تنجذب

إليـهم، ولكنهـا تركـت كل ذلك وتحـولت إلى أسـيـرة لجـهـاز التليفزيون وأضوائه وصوره الملونة والمتحركة، كما يبدو أنها كانت مسرورة بالأصوات الصادرة منه.

إني أعتقد أنها كانت تشاهد التليفزيون لأنها أحبت ما رأت وما سمعت، وحينما تحققتُ من ذلك أعترف أنه قد سبب لي بعض الخوف، وإن كان ذلك قد ساعدني كثيراً جداً في فهم الحقيقة المتعلقة بكثرة مشاهدة الكبار أنفسهم للتليفزيون، إنهم -كذلك- ينجذبون إليه. . بل هم -في واقع الأمر- أسرى له، لأنهم يحبسون فيما يشاهدون.

إننا ينبغي علينا أن ندرك أن هناك أناساً أذكياء جداً، بل موهوبين حقاً لأنهم توصلوا إلى معرفة ما يجذب الناس للمشاهدة، وهؤلاء الأفراد هم الذين يقررون ما نشاهد على شاشات التليفزيون لأنهم يعلمون ما نريد وما نتحمل. وسوف نناقش هذا الجانب فيما بعد.

كذلك ساعدتني ابنتي الكبرى على أن أفهم: لماذا يقبل الأطفال بشغف وبكثرة على مشاهدة التليفزيون. إن إدارة مفتاح ذلك الجهاز العجيب تعد عنصراً جاذباً لهم أكثر من أي شيء آخر يمكن أن يفعلوه. إنني أعاني كثيراً من تقلب ابنتيَّ

الكبيرتين في مرحلة مراهقتهما المبكرة، وأعرف أنهما تميلان إلى كثرة مشاهدة التليفزيون، وبخاصة حينما تكونان مهمومتين وتشعران بالملل، ولا تحسَّان بأنهما في حالة طيبة.

(إن كل الذين مروا، أو يمرون بتجربة تنشئة أطفال كبار في سن المراهقة يفهمون أن كل الأمور السابقة -الشعور بالهم والملل وعدم السعادة- يمكن أن يمر بها المراهق خلال ساعة واحدة في الوقت نفسه الذي ينقلب منها جميعاً إلى الإحساس بالطاقة غير المحدودة والفرح). . !!

إن هؤلاء المراهقين -بأحوالهم هذه- ما لم يتجهوا إلى التليفزيون - سوف يتجهون لأشياء أخرى في حياتهم. إن شبابنا يتجهون إلى التليفزيون ساعات قليلة بدلاً من أن يتجهوا لتلك الأشياء الأخرى يشغلون بها أنفسهم وأوقاتهم، إنهم بذلك يشغلون أيامهم، ويقضون معظم شبابهم، وهم يعيشون عن هذا الطريق حياتهم.

إن التليفزيون -في واقع الأمر- يقوم بعدد من الوظائف في حياة الطفل. . أي طفل، فهو يقوم بدور «جليسة الأطفال Babysistter» وهذا دور شائع له، ولا يطلب أي شيء في مقابل ذلك، يساعد الصغار والكبار على أن يسترخوا ويستريحوا ويهربوا من مشكلاتهم. إنه يلطف الجو

من حول الإنسان ويهدئه، ولكنه -في نفس الوقت- يجعلنا ننغمس في حياة الآخرين بدرجة كبيرة حتى إننا قد ننسى المواقف المؤلمة أو المشكلات المتعلقة بحياتنا نحن.

إن التليفزيون يمكن أن يشكل خلفية Background لكل شيء يقوم به الأطفال. وإنه صوت مؤنس في بيت موحش، وهو عنصر أمان لأطفال يكونون وحدهم. إنه يقدم للأطفال ما يريدون، وهو في الوقت ذاته يجعلهم يريدون ما يقدم. إنه يستجيب لحاجات كثيرة ومتنوعة عن طريق الرسوم الكرتونية المتحركة، أو عروض الألعاب، أو المسرحيات التليفزيونية التي تعالج المشكلات الاجتماعية Soap Opara، أو عروض الأحاديث المختلفة، أو المسلسلات التي يقوم بها رجال البوليس السري، أو من خلال المواقف الكوميدية الضاحكة.

إن النوعية الضعيفة لبرامج التليفزيون تثير اهتمامات كثير من الكبار الناضجين، حيث إن هناك إجماعاً بين النقاد على أن كثيراً جداً مما يعرض على الشاشة الصغيرة ليس طيب المستوى كما يشاهده أي إنسان، وهو -تأكيداً- غير طيب على الإطلاق للأطفال كي يشاهدوه. وأنا أتفق مع هذا الإجماع.

إن أفضل طريق لتجميع الجماهير من المشاهدين هو أن يستجيب التليفزيون لحاجات المستوى الأقل من الطبقة الوسطى The Low Middle Class وأن يقدمها لهم وهو آمن (من نقدهم). وهناك الكثير من الأدلة على أن صناعة التليفزيون قد نجحت في هذا، ومن أوضحها العدد الهائل من مشاهدي الطبقة الوسطى الذين يتجمعون حول أجهزة التليفزيون.

إن التليفزيون يقدم لنا كمّاً هائلاً من برامجه كل يوم، بمعدل ١٨ ساعة يومياً، على مدار ٣٦٥ يوماً.. أي طول العام، وكل هذا تتنافس فيه محطات الإرسال الرئيسية وشبكات التليفزيون (السلكي) Cable*. وإذا ما فكرنا بواقعية في هذا الكمّ الهائل من ساعات الإرسال التليفزيوني فإنه لا يمكن أن نتوقع أن يكون كل ما يعرضه التليفزيون جيد النوعية.

وعلى كل حال فمعظم الكتب التي تنشر خلال عام هي

* وهذه شبكات خاصة لا يصل إرسالها للمشاهدين إلا لمن يشترك فيها، ويسدد قيمة الاشتراك شهرياً، بعد توصيل شبكتها لجهاز التليفزيون، وبها كم هائل من البرامج السياسية والاجتماعية والرياضية والأخبارية.. وغير ذلك مما يحسن عدم ذكره لشناعته..!! المترجِم.

في الواقع غير جيدة، كذلك قطَعُ الموسيقى والفن المنتج خلال عام هي أقل من أن تذكر أَو تتذكر. وفي أي الأحوال الحقيقة التي لا يمكن إغفالها هي أن التليفزيون حاضر في حياتنا، وهو متاح دوماً وجزء أساسي في حياة أطفالنا، وهم يشعرون أنه جذاب لهم جداً، بصرف النظر عما نعتقده نحن من حيث نوعية برامجه، والأطفال يشاهدونه بكم هائل من الساعات التي تسترعي الانتباه. . كل يوم.

ماذا يقلق المعلمين في موضوع التليفزيون والأطفال؟

إن المعلمين يشاطرون أولياء الأمور قلقهم وهمومهم بشأن طبيعة التليفزيون المنتشرة بشدة، وبشأن قدرته على جذب المشاهدين وإبقائهم أمامه، وكذا بشأن نوعية برامجه.

وبعيداً عن هذه الملاحظات العامة، وأعمق منها، نجد أن المربين ينظرون إلى التليفزيون على أنه مشكلة حقيقية في حياة الأطفال في أمور واضحة ومحددة، أمور تتعلق بالتعلم وبالتفكير، فمدرسو المرحلة الابتدائية خاصة يشتكون من أن تلاميذ مدارسهم لا يمكنهم الجلوس هادئين في فصولهم هذه الأيام، وأن فترات انتباههم قد أصبحت أقصر كثيراً مما كانت

عليه قبل ذلك، إضافة إلى أن هؤلاء الأولاد الصغار قد أصبح أمر السيطرة عليهم من الصعوبة بمكان، كما أن ضبطهم والسيطرة عليهم في الفصول بات مختلفاً عن ذي قبل. والواقع أن هذه الادعاءات تستحق المناقشة، كما أن اللوم الذي ينبغي أن يوجه للتليفزيون بخصوصها ينبغي معرفة مدى عدالته.

إن نفراً قليلاً من المعلمين الذين ألتقي بهم متأكدون أن الأطفال ذوي فترات الانتباه القصيرة في الفصول هم الذين يربطون بينها وبين مشاهدتهم الكثيرة للتليفزيون. وعلى وجه اليقين واجبات المدرسة تتطلب نوعاً من الانتباه يختلف عما تتطلبه مشاهدة التليفزيون، كما أشرح للمعلمين في بعض الأحيان فإنه ليس هناك من يتوقع منهم أن ينافسوا التليفزيون.

ورغم ما سبق إذا كان الأطفال أقل انتباهاً هذه الأيام، فإن هذا السلوك ربما لا يكون له علاقة بقدراتهم على الانتباه، وحتى لو استطعنا أن نثبت -من خلال البحث- أن الأطفال اليوم قد أصبحت قدرتهم على الانتباه أو التركيز أقل مما كانت عليه من قبل، فإن إثبات أن ذلك راجع في أساسه إلى التليفزيون قد يكون من الصعوبة بمكان، وهذه

مشكلة يعاني منها المعلمون لأنها ظاهرة موجودة بالفعل، وإنه لمن الأمور الشائعة في مثل هذه الحالات أن يلقى اللوم على التليفزيون. إن المعلمين الذين يلومون التليفزيون يعتقدون أنهم مواجهون بظروف خارج إرادتهم وبعيداً عن سيطرتهم، ومن هنا يكونون غير قادرين على مواجهة المشكلة الحقيقية وعلى التعامل معها.

همٌّ آخر ومشغلة من هموم والمعلمين وشواغلهم يتعلق بأثر التليفزيون ومشاهدته في التحصيل المدرسي، فمع البدايات المبكرة للخمسينيات ظهرت سلسلة طويلة ومتتابعة من الدراسات التي حاولت أن تستكشف أثر مشاهدة التليفزيون في التحصيل الدراسي، وذلك كما تظهره درجات الطلاب في الامتحانات المقننة التي تعطى لهم.

أما وجهة نظري في نتائج هذه الدراسات فهي أنها ليست بالصورة الرائعة التي تحدث عنها البعض، وربما يكون الأمر الذي يستحق التسجيل هو أنه كيف يمكن تفسير تلك النتائج، وكيف يمكن أن يستفاد منها بطرق مختلفة معتمدين على تحليل النتائج التي يقوم بها مكتب المعلومات الخاص بالتليفزيون Television Information Ofice، أو خدمات

الاختبار التربوية Edicational Testing Service، أو من خلال اللجان الحكومية.

إنه أن يقال إن الأولاد والبنات الذين يشاهدون التليفزيون كثيراً وبصفة منتظمة لا يحصِّلون تحصيلاً دراسياً جيداً مثل الأولاد والبنات الذين يشاهدون التليفزيون بدرجة أقل، يعد قولاً مقبولاً، ولكن أن نعمم حكماً واحداً على الجميع فذلك أمر يصعب قبوله.

وعلى سبيل المثال هل سندهش إذا وجدنا أن الأولاد والبنات الذين يتحدثون على التليفون يومياً ست ساعات يكون تحصيلهم الدراسي أقل من نظرائهم الذين يقضون وقتاً أقل من ذلك في أحاديثهم التليفونية..؟

ومن جانبي أعتقد أن معظم التربويين سوف يوافقون على أن مستوى التحصيل الدراسي في هبوط نوعاً ما، ولكن أن نتجه، فوراً وببساطة، لإلقاء اللوم على التليفزيون، أو على الأقل لإلقاء معظم ذلك اللوم عليه، فذلك أمر غير منطقي وغير معقول.

إن الذي أمامنا هو حالة لظاهرة معينة نلاحظها، وهي تحتاج إلى بحث متعمق يصل بها إلى تفسير: إن كثرة

مشاهدة التليفزيون يمكن أن تفسر لنا -جزئياً- تدهور التحصيل الدراسي، بالضبط كما نربط بينها وبين الإفراط في مشاهدة التليفزيون والذي يعد عاملاً مسهماً في عديد من المشكلات الأخرى، داخل المدرسة وخارجها.

وما يعنينا هنا -على أية حال- هم أولئك الأشخاص الذين يعتقدون أننا لو استبعدنا التليفزيون أو ألغيناه كلية من حياتنا فإن هذه المشكلات المعقدة، مثل مستوى التحصيل الدراسي المتدهور، سوف تجد لها حلاً فورياً. . !!

وعلى ذلك قد نسأل هذا السؤال المباشر: ما الذي سيحدث لو أن التليفزيون سُحب فجأة من منازل معظم طلاب المدارس الذين يدمنون مشاهدته. . ؟

- هل سيعاد ترتيب حجرة التليفزيون المخصصة لمشاهدته كي تصبح حجرة تغص بالكتب المعدة للاطلاع والتثقيف. . ؟

- هل ستحل مجلة الجمعية الجغرافية الشهيرة محل مجلة «دليل التليفزيون». . ؟

- هل سنجد أن الآباء الذين فقدوا سيطرتهم على توجيه أبنائهم قد استعادوا هذه السيطرة التي سرقتها منهم محطات

التلفـيـزيون الرئـيسـيـة CBS, NBC, and ABC وتولت السيطرة على عقولهم واتجاهاتهم . . ؟

- وهل بدون التليفزيون يتحول الطلاب المدمنون على مشاهدته إلى طلاب مجدين في تأدية واجباتهم المدرسية، وهل يتجهون بذواتهم إلى النشاطات العقلية وغيرها من أوجه النشاط الأخرى . . ؟

- أم أن الأولاد والبنات الذين سمح لهم بأن يهبوا أنفسهم كلية للتليفزيون سوف يكونون أحراراً في أن يفعلوا الشيء نفسه مرة أخرى . . وباختيارهم هذه المرة . . ؟

- هل يمكننا بأمانة أن نفترض أن الأطفال سيكونون في حالة أفضل، في مدارسهم، بدون التليفزيون . . ؟

- هل من المعقول والمناسب أن نلوم التليفزيون على كل أنواع التدهور الحادثة في المدارس، على الرغم من أن ذلك اللوم قد يريح البعض منا، بل إنهم يرتاحون له ويميلون إليه حقاً . . ؟

إن المعلمين -بالمثل- لديهم هموم كثيرة تتعلق بآثار التليفزيون في أطفال اليوم، وعلى الطريقة التي يفكر بها البنون والبنات، بل على ما يفكرون فيه. وسوف نتعامل مع

هذا الجانب الخاص بأثر التليفزيون في ما يفكر فيه الأطفال في جزء لاحق. أما الآن فسوف نتعامل مع انشغال المعلمين بموضوع الطريقة التي يفكر بها البنون والبنات وأثر التليفزيون فيهم في ذلك.

إن بعض المراقبين يدعون أن التليفزيون، هو في حقيقة الأمر مغير للطريقة التي يفكر بها الأطفال، كما أنه يتدخل في الطرق التي هم قادرون بها على التفكير. كذلك يقول المعلمون: إن أطفال اليوم يفكرون بطريقة مختلفة، وهم لا يخفون انشغالهم بخصوص أن الأطفال أقل قدرة ورغبة في التفكير بالطرق التي تريدها المدرسة.

ولكي نفترض أن التليفزيون قد غير طريقة تفكير الأطفال، ثم غير الطريقة التي كان من الممكن أن يتعلموا بها، لكي نفصل ذلك لا بد أن نفترض أن هناك عدداً من الأسئلة قد أجيب عنها بالقطع.

فمبدئياً، لكي نرى صحة هذه الادعاءات، لا بد أن نكون قادرين على أن نحدد كيف يفكر الأطفال، وكذلك أن نميّز بين طريقة تفكيرهم اليوم، وطريقة تفكيرهم قبل ذلك (أي قبل أن يتعرضوا لتأثيرات التليفزيون)، كما أننا ينبغي أن

نكون قادرين على شرح كيفية تعلم الأطفال، وعلى فهم وتوضيح كيفية حصولهم على المعلومات المحددة الخاصة ببيئاتهم التي يعيشون فيها ويترعرعون.

ولعله يكون من المعقول افتراض أن الإجابة عن كل هذه الأسئلة، وعلى عشرات غيرها تتطلب نظريات متنافسة فيما بينها، فعن تعليم القراءة، على سبيل المثال، نجد أن المربين يحدثوننا عن نظريات تشرح لنا كيف يتمكن الطفل من مجرد القراءة.. ثم كيف يقرأ بعد ذلك بيسر.

إن البحث التربوي قد قدم عدداً من الرؤى الصائبة حول كيفية تعلم الأطفال أثناء نمو تفكيرهم، وكيف أنهم يتعلمون بعض الأشياء، ولكننا ينبغي أن نعترف أننا على وجه اليقين لا زلنا بعيدين عن معرفة كيفية حدوث التفكير ذاته، إني لست واثقاً من أننا نعرف ما ينبغي معرفته، أو ما نود معرفته عن كيفية تعلم الأطفال، وعلى ذلك أنا غير متأكد من أننا كنا نقف على أرض صلبة أم لا، حينما نعمم في موضوع الطريقة التي يفكر بها الأطفال والتي بها يتعلمون.

وأكثر من ذلك وأبعد ما نعرفه عن التفكير والتعلم في حالات الأطفال إنما يعتمد على عدد غير قليل من العوامل

المتداخلة، من أوضحها لنا محتوى ما يتعلمونه ومن يقومون بهذا التعليم.

ومن هذا المنطلق أدعو إلى الحذر من التسليم بأي تأكيدات حول كيفية حدوث أي تغيير في كيفية تفكير الأطفال وتعلمهم بصفة عامة، حتى وإن كانت هذه التأكيدات عالمية الصبغة. إن الجري وراء فكرة حدوث تغيير في تفكير الأطفال وتعلمهم بسبب التليفزيون هو في الواقع أبعد ما يكون عن الإثبات أو التحقق منه بواسطة شواهد علمية، وربما هو أبعد من التفسيرات المنطقية.

وعلى الرغم من كل ما سبق يبدي كثير من المعلمين تخوفهم من أن يكون التليفزيون مفسداً لعقول الشباب الصغار ومضيعاً لهم، ولكني من جانبي أستطيع ادعاء أن جيل الشباب اليوم، أو ما اصطلح على تسميته «بجيل التليفزيون» ليس مختلفاً كثيراً عن ذلك الجيل الذي سبق ظهور التليفزيون أو الأجيال السابقة على ظهوره.

وحتى بعد أن ظهرت بعض التغيرات الواضحة، لا أشعر بالراحة لو نسبتها إلى سبب واحد وأرجعتها إليه، لأن فعل ذلك سوف يدل على قصر في النظر، كما أنه لن يكون

مفيداً في المدى البعيد، والسبب في ذلك هو أنه لو كان أطفال اليوم مختلفين -حقاً- في قدراتهم التفكيرية والتعليمية، أي في قدرتهم على التفكير وعلى التعلم، وإذا كان التليفزيون -حقاً كذلك- هو المسؤول الأول عن ذلك الجانب السلبي، فإننا نكون بعيدين جداً عن البحوث التي ينبغي أن نقوم بها مساعدة للمعلمين في التغلب على هذه الفروق.

إننا نلوم التليفزيون وننسب إليه كل مشكلات التعليم، ونلعن قنواته باستمرار، وبفعلنا ذلك نساعد التربويين على أن يديروا ظهورهم ويغلقوا عقولهم في مواجهة عوامل أخرى كان عليهم أن يتفكروا فيها، وأن يعملوا فيها عقولهم بدرجة أكبر. إننا قد نراجع أنفسنا ذات يوم ونجد أننا كنا مخطئين، وحينئذ قد نكتشف أننا لم نتوصل إلى معرفة أطفالنا المعرفة الكافية التي يتوجب علينا أن نعرفها، وحينئذ سنكتشف حقاً أن معرفتنا بالتليفزيون وأثره في قدرة الأطفال على التعلم والتفكير هي على وجه اليقين أبعد ما تكون عن الحقيقة، وأبعد مما يدعي البعض أنهم يعرفون.

إننا لو لجأنا إلى شيء من التحليل الموضوعي بعقول مفتوحة، فيما يتعلق بأثر التليفزيون في الأطفال، إذا ما فعلنا ذلك حقاً فإننا قد نكتشف -في ذلك اليوم- أن التليفزيون هو جزء من الحلول التي يمكن أن تساعد في حل مشكلة تعلم الأطفال. إننا حين نركز أحاديثنا على الجوانب السلبية فقط للتليفزيون، وحين لا نرى فيه إلا قوة تضعف من تفكيرهم، حين نفعل ذلك -في الواقع- نجهض الفكرة السابقة، أي الاستفادة من التليفزيون عنصراً مساعداً في تعلم الأطفال.

فهم التليفزيون في ثقافتنا*

إذا كان التربويون سيمنحون شيئاً من اهتماماتهم لأثر التليفزيون في حياة أطفالنا، فإن عليهم أن يبدأوا فوراً بمحاولة فهم وضع التليفزيون في ثقافتنا وكيف ينظر إليه.

إن الكيفية التي ننظر بها إلى هذا الجهاز تمكننا من التعامل مع تحدياته بطريقة أكثر فعالية. وبوصفي واحداً من الذين ينظر إليهم على أنهم «مربو التليفزيون TV Educators» فإني حينما أقف أمام جماعات أولياء الأمور والمعلمين، وحينما أحاضر في «ورش العمل الخاصة بالمعلمين Teachers Work-shops»، وفي فصول الطلاب، حينما أفعل ذلك فإني أكون بين أول الناس المعترفين بأنهم لا يفكرون كثيراً في موضوع التليفزيون هذا إطلاقاً، وحينما نفكر فيه فإن تفكيرنا يكون في غالب الأحيان تفكيراً متحيزاً ومفتقراً إلى المعلومات.

* الثقافة الأمريكية طبعاً.. المترجِم.

إننا في هذا المجال نميل إلى إصدار الأحكام العامة، فعلى سبيل المثال نقول إنه «ليس هناك شيء طيب في قنوات التليفزيون هذه الأيام»، مع أنه يكاد يكون من المسلم به بأي معيار معقول أن صناعة التليفزيون المعاصرة تحاول جاهدة أن تمد المشاهدين الأمريكيين ببرامج ذات نوعية طيبة، ومن السوء بمكان أن نعتقد أنه «ليس هناك شيء طيب في قنوات التليفزيون»، وهو أمر مؤسف ولكنه شائع بيننا.

إن قبول الإنسان لهذه الفكرة، وقناعته بها، أي الفكرة العامة والسائدة بين الناس أنه ليس هناك شيء طيب في قنوات التليفزيون هذه الأيام ينقص فرص ذلك الإنسان في اكتشاف البرامج الطيبة وتقديرها، وكذلك ينقص من فرصته في الاستفادة من تلك ا لبرامج.

إننا ينبغي علينا أن نتذكر أن هذه الوسيلة -التليفزيون- التي عرضت علينا البرامج والمسلسلات الآتية: «The Gong Show»، «Three's Company»، «The Dukes of Hazzard»، «The Price is Right»، هي التي قدمت إلينا «Roots»، «Sixty Minutes»، «All in the Family»، «M.A.S.H»، «Hill Street Bluces»*.

* المجموعة الأولى من المسلسلات تتصف بالتفاهة وعدم وجود هدف لها =

كـمـا أننا ينبـغي ألا ننسى أن تلك الـوسيلة ذاتهـا ، أي التليفـزيون ، والتي تعـوّد الرؤساء أن يكـذبوا على الأمـة من خلالها ، هي التي تمكن كل فرد في أمتنا من أن ينظر بتركيز في عيون هؤلاء الرؤساء ، بل ربما يمكن أن يتمعن داخلياً في نفوسهم وأرواحهم .

إننا ينبغي أن نعترف بأن هذه الوسيلة التي تغرق حياتنا بالتفاهات والأمور الهزيلة هي ذاتها التي توحِّد بيننا خلال الأحداث التاريخية الدرامية التي نمر بها في هذه الأيام ، كما حدث أن رأينا رجلاً منا يطأ بقدميه سطح القمر ، وكما عشنا لحظات الحزن العميق ونحن نشاهد جنازة قائد لنا اغتيل في ريعان شبابه ، وكذلك شاركنا -من خلال التليفزيون- أمة أخرى أفراحها وهي تحتفل بزواج ملكي لأميرها .

وإذا ما كانت المسؤولية هي مسؤولية المربين في إيجاد التوازن ، وفي بعث رؤى صائبة عند مناقشة نوعية البرامج التليفزيونية ، فلماذا نستبق الأمور ونقول : «إنه ليس هناك أي شيء جيد في تلك البرامج . . ؟؟ إن هناك عدداً من

= اللهم إلا الإثارة وتضييع الوقت ، أما المجموعة الثانية فتتميز بأنها أعمال تليفزيونية مفيدة . . بل رائعة ، بحيث تضيف لثقافة المشاهد فعلاً . . المترجِم .

الاعـتبـارات التي تسـتـحق أن نوردها، بـاختـصـار، في هذا المجال:

أولاً- لقد نما معظمنا وهم يضعون القراءة في مكانة عليا، ويقـدرونهـا حق قـدرها. إن القـراءة تكاد تكون مـقـدسـة من الناحية الثقافية، وحينما نقول إننا قراء جيدون، أو حتى حينما نتظاهر بأننا قد قرأنا كثيراً، فإننا نشعر بسعادة غامرة تجاه ذواتنا، ولكن مشاهدة التليفزيون تجعلنا نشعر بشعور معاكس، شعور من الإنكار، ومن الذنب، بل إننا كـثيـراً ما نغير الحـديث عند الكلام عن مشاهدة التليفزيون، وهناك عبارة شبه محفوظة في ذلك المجال، وهي: «أنا لا أشاهد التليفزيون كثيراً، في الواقع أنه ليس هناك شيء طيب يعرضه ذلك الجهاز».

ثانياً- لأننا نفترض أن التليفزيون لا يجتذب إلا جماهير العامة من الناس تكون توقعاتنا لما يقدمه ليست عالية، وربما يكون هذا هو السـبب في أننا نادراً مـا نعـارضـه، ونـادراً مـا ننزعج لما نشاهده على الشـاشـة الصغيرة من نوعيـة رديئة. وفي حقيقة الأمر لا يصدر عنا -غالباً- إلا التوسط في النقد، وربما حتى عدم الاهتمام، ولا نفترض فيه التميز رغم أنه ينتشر في منازلنا جميعها، بلا استثناء.

والخلاصة هي أن معظم مشاهدي التليفزيون «لا يرون» التميز الذي بإمكان التليفزيون أن يجلبه إلى بيوتنا، ومن هنا لا يمكنهم -بسبب حكمهم المسبق على التليفزيون- أن «يروا» النوعية الجيدة للأعمال التي تقدم من خلاله، كما لا يمكنهم تبعاً لذلك أن يحكموا عليها.

وأخيراً- بما أننا نعترف بأن هناك برامج ذات نوعية على شاشات التليفزيون فإن ذلك يتضمن الاعتراف بأن بعض ما يعرض هو من نوعية جيدة، وإن كان هذا القول يقابل بنظرات صمت طويلة عند قوله في حفلاتنا، بل يقابل بنظرات فضول من جانب التربويين، وأكثر من ذلك أنه يقابل ببرود في دوائر أصحاب الفكر والمثقفين، ولا بد أن أعترف بأن ذلك كله يثير فيّ شيئاً من الحزن.

إننا حين نعتقد أن «التليفزيون» هو «التليفزيون»، وأن كل ما يعرض على ذلك التليفزيون متشابه ومن نوعية واحدة فإننا نحرر أنفسنا من أن ننظر إلى ذلك الجهاز النظرة الناقدة التي تفرق بين الأمور وتوازن بينها، ولكن إذا اقتنعنا بأن هناك مساحة كبرى من البرامج المتنوعة والمختلفة تعرض على الشاشة الصغيرة فإننا -من هذا المنطلق- سنبدأ

في النظر إليها نظرة ناقدة موضوعية. إنَّ رفضنا أن نناقش موضوع التليفزيون من منطلق أنه لا يستحق حتى مجرد المناقشة يضيّع علينا خبرات كثيرة اكتسبناها من مشاهدته، وعلى الرغم من أن التعميم السالب المتعلق بالتليفزيون هو السائد، ينبغي على التربويين أن يواجهوا مسؤوليات أكبر فيما يتعلق بمواجهة التعميمات الكاسحة والسلبية التي تتعلق ببرامج التليفزيون، والتي نتجت عن «العمى الثقافي Cultural Blindness».

وحيث إننا ننظر إلى التليفزيون تلك النظرة المتدنية في حياتنا، فإنه يكون من الصعب علينا أن نتحقق من كيفية تأثير «تاريخ التليفزيون» في التليفزيون بوضعه الحالي اليوم، وكيف أن تلك التكنولوجيا التي بزغت وانطلقت سوف تؤثر في التليفزيون غداً. وكما كتب إيريك بارنو Erik Barnou باقتدار مناقشاً، في كتابه الممتاز عن تواريخ صناعة التليفزيون قال: إن التليفزيون له أصله وجذوره في الراديو، كما أن الراديو له أصله وجذوره في المسرحيات والتمثيليات الهزلية التي كانت سائدة قبله، ولذلك لا غرابة هناك في أن التليفزيون قد دخل ثقافتنا وتغلل في أعماقها وسيلةً من وسائل التسلية.

ولا ينبغي أن يفهم أحد من ذلك أن التليفزيون لا يقوم بشيء سوى أن يسلينا، **ولكن الحق هو أن ثقافتنا استخدمت التليفزيون أساساً للتسلية.** إن فهم تاريخ التليفزيون يساعدنا على أن نتحقق من أن التوقعات لأي وسيلة من وسائل الاتصال على أنها فقط «لمجرد التسلية» هي توقعات هابطة أو متدنية بلا شك، ومن هنا يمكن أن تكون الإمكانات المحتملة لنفس هذه الوسيلة مرتفعة ورائعة، ولكننا لم نتوصل إليها بعد.

ونحن المربين ينبغي علينا أن نشجع على التفكير في مجال مستقبل التليفزيون، إن نظام وضع برامج التليفزيون ونظم توصيل تلك البرامج إلى منازلنا تسير بخطوات سريعة، وتحدث فيها تغييرات لم تسبق من قبل.

إن الأقمار الصناعية، والمحولات السلكية، والإمكانيات الجديدة للتسجيل في المنازل، والاستخدامات الحديثة لشاشات التليفزيون، والإشارات التليفزيونية، والتطبيقات المتفاعلة للتليفزيون، والصوت المحسَّن، والصور الأكبر حجماً والأكثر وضوحاً، والتنوع الهائل في البرامج الذي لم يكن موجوداً من قبل، وربما كان الأهم من كل أولئك هو البحوث المتعلقة بنوعية أفضل من

المشـاهدين . . إن كل هـذه الأمـور تمثل جـانبـاً من التطورات الحديثة والحالية التي سوف تؤثر في التليفزيون خلال الحقبة الحالـية . وإذا فشلنا في تربيـة المجتـمع وإعداده بالطرق التي سوف يستخدم فيها التليفزيون مستقبلاً ، فإننا سوف نخضع أمة من المشاهدين لمعلومات ناقصة ، وقطعاً سيكون إعدادهم غير مكتمل .

وهناك طريقان آخران نفكر بهما في التليفزيون ، وهما يستحقان الإشارة إليهما باختصار . **الطريق الأول** هو أن معظمنا يعتقدون أن التليفزيون في الأصل وسيلة نستخدم عيوننا أمامها فقط ، ونتيجة لذلك فإننا نغفل حقيقة مهمة جداً مؤداها أننا نتلقى من خلال الاستماع إلى التليفزيون كماً من المعلومات أكثر مما نتلقى من خلال المشاهدة .

ولكي نختبر هذه الفرضية فعلى المتشكك فيها أن يشاهد التليفزيون خمس عشرة دقيقة من برنامج إخباري ، أو حتى من مشهد كوميدي وعليه أن يترك صوت الجهاز مرتفعاً ، ويطفئ الصورة على الجهاز بحيث تتحول إلى اللون الأسود ، ثم بعد ذلك يشاهد التليفزيون مرة أخرى دقائق عدة ، ولكن يجعل الصورة مرئية ، والصوت مختفياً ، ثم على المشاهد بعد

ذلك أن يقرر ويحدد بينه وبين نفسه أي الوسيلتين التي تلقى بها المعلومات أفضل، أو حتى الموقف الكوميدي الذي أذيع، هل «الجهاز المرئي» . . أم «الجهاز المسموع» . . ؟

إننا -في الواقع- نفهم التليفزيون فهماً ناقصاً غير دقيق حينما نسمح لأنفسنا بالاعتقاد بأنه «مجرد وسيلة مرئية Merely Visual Medium» من وسائل الاتصال، إننا بفعلنا هذا كأننا نلغي «الرسائل الصوتية أو الكلامية Verbal Messages»، ونقفز بطبيعة الحال فوق الجهود الممتازة التي بذلت في كتابتها.

أما **الطريق الثاني** فهو أن معظمنا يعتقدون أننا لا حول لنا ولا قوة كي نؤثر في طبيعة البرامج التليفزيونية. إننا نسير في حياتنا وكأنه ليس هناك ما يمكن أن نفعله حيال التأثير في ذلك المارد العملاق الذي يدير التليفزيون ويوجه إلينا برامجه، ويسيطر -نتيجة لذلك- عليها . . وعلينا.

والواقع أني في دهشة دائمة ومستمرة من ملاحظتي لنظرات المشاهدين الذين يحضرون بعض محاضراتي عن التليفزيون حينما أقول لهم: «إني لم أر مطلقاً جهاز تليفزيون بدون مفتاح . . يديره . . ويغلقه» . . !!

إن كثيراً من الآباء الذين يشتكون من كثرة مشاهدة أبنائهم للتليفزيون، ومن كيفية مشاهدتهم له، يرتكبون خطأً حين يتحققون أن ذلك التليفزيون من الممكن إغلاقه، بل ومن الممكن تركه مغلقاً فترة طويلة من الوقت . . ! !

إن المشاهدين الذين يجدون التليفزيون عدوانياً* مفسداً، والذين يأسون لما يبثه ويستنكرون الإسراف الزائد فيه، ويحزنون لبعد معظم برامجه عن العقلانية والاتزان، هؤلاء المشاهدون يمتلكون القوة الجماعية The Collective Power القادرة على تغيير ذلك التليفزيون. وأقول مرة أخرى نحن التربويين مسؤولون عن بذل الجهود لمساعدة مجتمعنا في فهم القوى الكامنة في التليفزيون.

إن ذلك الأمر هو على نفس القدر من الأهمية مع أمر آخر، وهو بذل جهدنا مع المنتسبين للتليفزيون لنساعدهم في تنشيط قوى جماهيرهم ومشاهديهم من خلال تقديم الأعمال المتميزة. وأعظم وأقوى رسالة مؤثرة يمكن أن نرسلها لصناعة التليفزيون تتكون من عبارة واحدة هي : «لا . . إن ذلك غير مقبول». ونتبعها قائلين : «إني لن أشاهد ما تقدمون، وأبنائي كذلك لن يشاهدوه».

* فيما يخص تربية أبنائهم . . المترجِم.

إن هذه الرسالة سوف تستقبل ويستجاب لها فوراً، إذا قيلت بصوت مرتفع، وبشكل واضح، وإذا وجهت مباشرة للمسؤولين عن التليفزيون، ولن تكون هناك رسالة أخرى تعادلها في الأهمية، وقطعاً يمكن أن توصلنا إلى نتائج فورية قد تتمثل في إلغاءات لبعض البرامج في عز مواسمها.

إن الأهداف الاقتصادية المطلقة لصناعة التليفزيون لا ينظر إليها على أنها ذات أساس إصلاحي أو فضائل أخلاقية، وهذا أمر محزن، وكان الواجب على القائمين على أمرها أن يستجيبوا لحاجات المجتمع ومطالبه، ولكني من جانب آخر أقول إن صناعة التليفزيون قد ذهبت بعيداً جداً في محاولاتها إعطاء الجمهور ما يريد، والجمهور نفسه لم يوضح بقوة وبصراحة ووضوح ما المقبول لديه، وما المرفوض. وفي النهاية نصل إلى موضوع تربية جمهور التليفزيون وما الذي ينبغي علينا أن نقوله لأولياء الأمور في مجتمعنا فيما يتعلق بموضوع مفتاح التليفزيون الذي يديره.. ويغلقه..؟؟

بعض الفروض المتعلقة بآثار التليفزيون

إن كـثيـراً من البـاحـثين، والمعلمين، وأوليـاء الأمـور يعتقدون أن التليفزيون يؤثر في سلوكيات الناس، وهناك - على سـبـيل المثـال- عـديد من الدراسـات التي خلصت إلى نتـائج تبين أثر التليـفـزيون في حـفـز السلوك العنيف لدى الأطفال. كما أن هناك دراسات كثيرة انتهى أصحابها إلى بيـان كـيف تؤثر برامج بذاتهـا في جعلنا نفكر أو نسـتـجيب بطريقة معينة، ولكني من جانبي أجد صعوبة في قبول كل ما سبق ببسـاطة، كـمـا أن الأسـبـاب التي أوردها البـاحـثون ليبرهنوا على قوة التليفزيون في التأثير في السلوك البشري تحتاج لأن يدرسها المربون بكثير من العناية والاهتمام.

ومما لا شك فيه أن هناك كثيراً من العنف ضمن ما يقدمه التليفزيون، ونحن تأكيداً نعيش في أوقات يمكن أن نسميها، دون تجاوز «أوقات العنف Vialent Tines». وإني لأتساءل

فيما بيني وبين نفسي إذا ما كان لدينا دليل يثبت أن هذه الأوقات العنيفة، أو أوقات العنف هذه أكانت تكون هناك لو لم تكن ببيوتنا -نحن الأمريكيين- أجهزة التليفزيون الموجودة فيها حالياً. إن هناك الكثير من الأبحاث التي تحاول إيجاد علاقة وارتباط بين العنف المقدم على شاشات التليفزيون وأنواع السلوك غير الاجتماعي.

ودعونا نضع في اعتبارنا الطبيعة العدوانية الهائلة للتليفزيون الياباني ونقارنها بالهدوء النسبي الذي يكاد يخلو من العنف في الشوارع اليابانية.. إن مما يثير قلقي أن يرتكب الشباب الصغار في مجتمعنا جرائم قتل متعمدة، ثم يأتي محاموهم للدفاع عنهم ويضعوا ثقلهم صراحة -وربما يكونون مخلصين في ذلك- على التليفزيون، وهم يقولون مدافعين: إن هؤلاء الشباب، وكذا أسرهم، بل حتى ثقافاتهم.. لا يمكن إلقاء اللوم عليها.. وإنما المتهم الوحيد هو.. التلفيزيون..!!

لماذا كنا شديدي البطء في التحقق من ذلك، إذ الواقع أن كل جريمة شاهدنا وقوعها على شاشة التليفزيون، شاهدنا معها كذلك الشخصية الإجرامية وقد جرى القبض عليها

واتهـامـهـا . . وبسـرعـة نالـت جزاءها عـقـابـاً رادعـاً ، رغم أن السرعة التي يتم بها الاتهام والعقاب تبدو غير واقعية في حدوثها . لماذا لم نَعُد التليفزيون -بمنتهى الجدية والحسم- أداة لمنع الجريمة والحد منها ، ثم يقوم الباحثون بالتأكد من واقعية ذلك أو من بعده عن أن يكون حقيقة . . ؟ ولماذا لم يعبر الباحثون بالتأكد من واقعية ذلك أو من بُعده عن أن يكون حقيقة . . ؟ ولماذا لم يعبر الباحثون إلا عن قليل من الاهتمام في اكتشاف أن الكثير من التمثيل في مجالات الدفء والحنان والعطف التي نراها على التليفزيون من الممكن أن تكون ناتجة عن أمور متبادلة يمكن ملاحظتها والتحقق منها في مجتمعنا . . ؟

وكما سبق أن فصَّلت في مناقشتي عن أثر التليفزيون في التحصيل المدرسي ، أقول : إننا نميل لأن نكون مندفعين لإلقاء اللوم على أي شيء ، أو أي شخص ، حينما نلاحظ أموراً أو ظواهر ثقافية أو اجتماعية أو تربوية . وإني أسلم وأعترف بأن الالتزام بنظام قاسٍ في مجال برنامج معين من برامج التليفزيون الخاصة ، عند مرحلة معينة من مراحل نمو الطفل قد يكون عاملاً فعالاً في ممارسات ذلك الطفل التي

يأتيها بعد ذلك. بل إني قد أذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إنه ربما لا تكون هناك علاقة على الإطلاق بين التليفزيون وما يأتيه ذلك الطفل من حركات وأفعال. إننا -لكي ننطلق من مجرد تخمينات أو تأملات مبدئية إلى القبول بنتائج البحوث التي لا يرقى إليها شك في أن التليفزيون يفعل ذلك للأطفال- إنما يعني أننا نذهب بعيداً جداً أبعد من المعقول، وربما أكثر مما تتطلبه الحكمة.

كذلك قناعات طوائف ضخمة من جماهير المشاهدين، أو حتى «تفكيرهم بشأن» برامج معينة تستحق العناية والاهتمام من جانب التربويين. إنه رغم أننا يمكن أن نستجيب أو قد نستجيب لنفس المثيرات، هناك شيء من الشك في أن كل اثنين من الناس «يستقبلان» دوماً نفس الرسالة التليفزيونية. وبنفس القياس يمكننا أن ننظر إلى نظريات بعينها بخصوص كيفية استجاباتنا للمؤدب مثلاً، حيث نجد أن كثيرين يقولون إنه ليس هناك شخصان «يقرآن» نفس الكتاب، أخذا في الحسبان -طبعاً- خلفية كل منهما، وتوقعاتهما، ونظرتهما للعالم، واطلاع كل منهما على الأحداث.. إلخ. ومن هنا حينما نتحدث عن: كيف يؤثر

برنامج معين فينا، فإننا ينبغي أن نكون واعين ومتيقظين جداً للتنوع الواسع العريض لكل الاختلافات الموجودة بين البشر.

لقد قيل عن التليفزيون إنه وسيلة الاتصال التي يمكن من خلالها لملايين الأشخاص أن يضحكوا في نفس الوقت على نفس الطرفة أو النكتة، ورغم ذلك يظل كل منهم شاعراً بعزلته. وهذا القول لا يعني، على أية حال، أن هؤلاء الأفراد يضحكون لنفس السبب، كما أنه لا يعني أنهم يشعرون بالوحدة والعزلة لنفس السبب أيضاً.

إن وجهة نظري التي أومن بها هي أنه رغم أن التليفزيون موجه لجماهير عريضة من المشاهدين يبقى التنبؤ باستجاباتهم لما يشاهدونه ليس أمراً سهلاً، هذا إذا كان ممكنا قياس تلك الاستجابات أصلاً. إننا قد نشاهد ذات البرنامج، ولكن لأسباب مختلفة، كما أننا ونحن نشاهد تلك البرامج نختلف بيننا في درجة الانتباه التي نشاهدها بها، وكذا في نفاذ بصيرتنا حيال ما نشاهد. إننا إذا ما فهمنا ذلك ووعيناه تماماً، فإننا سوف نشاهد بشيء من الحذر الادعاءات التي لا يقوم عليها دليل أو برهان والشكوك المتعلقة «بتأثيرات» التليفزيون وعروضه في المجتمع.

وعلى سبيل المثال، لا زلت أذكر استجابة أسرتي تجاه حلقة خاصة من حلقات المسلسل «All in the Family» حينما ماتت «إديث Edith»، وكنا نراقب «آرشي Archie» في تقبله السهل والمتدرج لموتها. وعند مرحلة معينة كانت عندي مشاعر حب استطلاع في معرفة كيف كتبت حلقات ذلك المسلسل، وكيف يمكن أن تكتب -من جديد- ولكن على مستوى شخصي إلى درجة أني أحسست بأن صديقي -وقتاً طويلاً-* «آرشي» سوف يجد صعوبة في تقبل وفاة زوجته المفاجئ.

لقد كبرت أنا وزوجتي على حب «إديث Edith» والإعجاب بها على مدار سنوات طويلة، ولما كانت حلقات ذلك المسلسل عاطفية النزعة - بخاصة حينما ماتت الممثلة «إديث» تلك- فقد رفضت زوجتي الاستمرار في مشاهدة باقي الحلقات، وأصبحت تفضل مشاهدة عروض تليفزيونية ذات طبيعة أخف، وأصبحت كذلك تختار مشاهدة المسلسلات

* تعبير المؤلف هنا عن صداقته لأحد شخوص المسلسل يدل على مدى التفاعل بين المشاهد والممثلين، وحين يقول إنه صديقه «وقتاً طويلاً» فهذا يدلنا على كثرة حلقات ذلك المسلسل، ويكفي أن يعلم القارئ العربي أن هناك في أمريكا مسلسلات تذاع حلقاتها سنوات طويلة متتالية.. دون توقف.. المترجِم.

التي تتوقع ألا تكون فيها نهايات محزنة تصدم المشاعر والأحاسيس، ومنذ ذلك الحين أصبحت أداوم على مشاهدة باقي المسلسل «All in the Family» أنا وابنتاي الكبريان، اللتان كانتا -آنذاك- في التاسعة والعاشرة من عمريهما.

لقد نظرت إلى هذا المسلسل بوصفه شيئاً ذا قيمة خاصة. شيء من الممكن أن نستمتع به سوياً، بل ربما نستفيد منه كذلك، ولقد اعتادت ابنتي الوسطى، ذات تسع السنوات أن تحضر صينية طعامها وتجلس لتشاهده، ولكنها ما كانت تستمر كثيراً أمام التليفزيون، فما تكاد تمر خمس عشرة دقيقة حتى تكون قد غادرت الحجرة بعد أن تكون قد فقدت رغبتها في متابعة قصة المسلسل، ولم يكن هذا هو الحال مع ابنتي الأخرى «كيري Kerri» التي شاركتني البكاء في نهاية البرنامج، وفي بعض الأحيان كان كل منا يذرف دموعه على حدة كذلك وحيث إننا كنا نشعر -معاً- بأننا نريد أن نفرغ الشحنة الانفعالية العاطفية الناتجة عن مشاهدة ذلك البرنامج كنا نخرج لنتمشى قليلاً حول مجموعة المنازل المحيطة بمنزلنا كي نتخلص من أي ضغط انفعالي يكون قد ألم بنا في حجرة التليفزيون.

ولمعرفتي بابنتي «كيري Kerri» (أو لتصوري أني أعرفها) كنت واثقاً من أننا بمجرد أن بدأنا الحديث حول موت «إديث Edith» وتقبل زوجها «آرشي Archie» لذلك الموت، أن ابنتي كانت لديها القدرة على أن تربط أحداث القصة ببعضها، وعلى أن تصل كذلك إلى الهدف من المأساة أو الدراما التمثيلية، والذي تدور فكرته حول أن «آرشي Archie» لم يكن قادراً على أن يتصالح مع نفسه، وأن ذلك لم يحدث له إلا في نهاية المأساة حين سمح لنفسه بأن ينفجر في البكاء حين تحقق من موتها وتقبله.

ولكني حين سألت ابنتي بفضول عن مرمى القصة ومغزاها كانت إجابتها بأن القصد منها كان أن يبيّن الكاتب إحساس «آرشي Archie» بالذنب لأن زوجته Edith قد ماتت بسبب أساليبه القاسية في معاملتها معظم الوقت. لقد شاهد كل منا ذلك البرنامج من بدايته إلى نهايته، وكان لدى كل منا معرفة مسبقة بالأشخاص الذين قاموا بتمثيله، ورغم ذلك فسر كلّ منا ما شاهده على الشاشة الصغيرة تفسيراً مختلفاً تبعاً لاختلاف شخصيتينا، وكذلك لاختلاف درجات نضجنا، وتنوع خبرات كل منا، بل كذلك لاختلافنا في القيم والمخاوف.

وإني لأتساءل -حقاً بعد هذه التجربة- كيف يمكن لشخص ما إن يعمم الإحساس الذي خرج به أربعة أشخاص «شاهدوا» ذلك البرنامج، رغم أنهم جميعاً أعضاء أسرة واحدة. .؟ وهم جميعاً -طبعاً- يعيشون في نفس البيئة.

وإذا كان التعميم في حالة هؤلاء الأفراد الأربعة صعباً، رغم كونهم من أسرة واحدة، فكيف يكون التعميم والسؤال عن آثار برنامج معين، أو برامج في جماهير عريضة من المشاهدين. .؟ إننا بمجرد أن نبدأ في تحليل ما نشاهد على التليفزيون، وكيف نشاهده، فإن هناك عدداً كبيراً من الفروض المتعلقة بمشاهدة التليفزيون -كوسيلة إعلامية- ينبغي أن نضعها في اعتبارنا.

وفي أحد الفصول التي أدرِّس فيها عن التليفزيون أحاول جاهداً التوصل إلى إجابات من الطلاب الذين تقاسموا خبرات متشابهة أو مشتركة نتيجة مشاهدتهم للتليفزيون. ولكن رغم أن خمسة عشر منا، أو حتى عشرين قد شاهدوا مسلسل «Hill Street Blues» ذاته، على سبيل المثال، يندر أن تجد شخصين منا يتفقان على أي حلقات هذا البرنامج كانت أكثر إثارة أو أكثر جذباً للمشاهدين، بل إنهما لن يتفقا

على أي أنواع الحوار التي دارت فيه من حيث جودتها، وكذلك ربما لا نجد من يتفق على نوع من أنواع التعبيرات الجذابة التي قالها أي ممثل من الممثلين في هذا المسلسل بحيث أصبح هذا التعبير عالقاً في الأذهان.

وحينما ننغمس في مناقشاتنا وحواراتنا حول مانشاهد على التليفزيون، نصبح أكثر مهارة في مساعدة أبنائنا وطلابنا في أن يسألوا ويجيبوا على أسئلة حرجة وشخصية أو ذاتية. وسوف يكون لديَّ كثير مما سأقوله فيما بعد حول قدرة التليفزيون الكامنة على توسيع وتعميق الخبرات، وذلك في القسم التالي من هذا الكتاب. ولكن النقطة التي ينبغي فهمها هنا والتركيز عليها هي أن استجاباتنا للتليفزيون شديدة التعقيد ومرتبطة بذواتنا وشديدة التنوع والاختلاف شأنها في ذلك شأن خبراتنا ذاتها، وهذا هو -تحديداً- ما يؤدي إليه الحديث والتفكير الذي يدور حول قناعاتنا عن ماهية التليفزيون.

وبدون حديثنا عن التليفزيون، ودون تفكيرنا فيه قد ننجرف بسهولة إلى الاعتقاد بأن التليفزيون قد يتسبب في دفع الناس لإتيان بعض الأمور، فحينما نلاحظ بعض

الارتباطات، -مهما كانت ضعيفة مقارنة بغيرها من أنواع الارتباطات الأخرى المتعلقة بالسلوك- فإنه يكون لدينا نزوع كامن للبحث عن أسباب بعينها.

إن المشكلات الاجتماعية -عندما نلاحظ- نجد أن الاختصاصيين الاجتماعيين، خاصة، يبدؤون في البحث عن تفسيرات لها، إذا أبقينا هذا الأمر في أذهاننا فدعونا نعتبر الوضع التالي: إننا نعيش في مجتمع يبدو كأنه مدمن Addicted على وسيلة من وسائل الاتصال التي تقدم -باستمرار وبثبات- عشرات من البرامج التي نشعر بشيء من الذنب حين مشاهدتها، بل لا نجد ما ندافع به عنها، أو بالأحرى عن مشاهدتنا لها.

إن ظروفاً مثل هذه هي -تماماً- الظروف المناسبة، والمناسبة جداً، لإلقاء اللوم على تلك الوسيلة بوصفها أنها التي تتسبب في كل أنواع السلوك المنحرف، بل لأنها خلف كل أمراضنا وعللنا الاجتماعية.

إن هذا الوضع، في رأيي، يمثل الظروف التي نحياها هذه الأيام، حين يناقش التربويون آثار التليفزيون، وحينما يتوصلون إلى «شواهد» أكثر لا تقوم -في الواقع- إلا على

فروض هشة رقيقة لا تكاد تقف على أقدامها . إن الرغبة في التـــوصل إلى برهان أو دليل -حين تتـــجـــاوز العـــقل والموضوعية- فإن الأمل في زيادة الفهم تصبح فرصة قليلة .

التليفزيون.. سارق الوقت

لا شك أن الآباء والأمهات مهتمون بالوقت الذي يقضيه الأطفال أمام التليفزيون، وهم في اهتمامهم هذا يشبهون المربين تماماً، والذين لا يقلون عنهم في اهتمامهم وقلقهم. وهذا القلق بلا مراء هو موضع تفهّم، آخذين في الاعتبار الوقت الطويل الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة التليفزيون، وآخذين في الاعتبار -كذلك- ما نعده نحن الكبار عواقب تلك المشاهدة.

وفي مناقشتي للتليفزيون -بوصفه سارقاً للوقت- سوف أذهب أبعد من مجرد هذا القلق العام، حيث سأناقش أسئلة محددة هي كالتالي:

١- من الذي يحكم أوقات أطفالنا ويتحكم فيها..؟

٢- كيف يشاهد الأطفال التليفزيون..؟

٣- كيف يمكن أن تكون مشاهدة «تليفزيون أفضل Better TV» مقللة لقضاء الوقت أمام الشاشة الصغيرة.؟

٤- وأخيراً كم الوقت الذي نعده كافياً في مشاهدة التليفزيون . . ؟

من الأمور المسلم بها أن الأطفال الذين يتركون بلا إشراف ولا توجيه، سوف يتجهون ببساطة إلى التليفزيون، وبمجرد أن يفعلوا ذلك فإن انتباههم -كله أو بعضه- سوف يحتوى ويمسك به بخبرة ومهارة من جانب مقدمي البرامج الذين ينادون المشاهدين، بين الفينة والفينة :

«لا تقترب من مفتاح التليفزيون . . فسوف نعود فوراً»، أو امكثوا منتبهين لمشاهدة الخاتمة المثيرة»، أو حتى «ابقوا في أماكنكم لتلقي الرسائل أو الإعلانات التالية» . . إن كل هذه العبارات -بلا شك- ذات تأثير كبير، بل أكثر من ذلك أن نعترف بأن برمجة التليفزيون -في أصل وضعها- قد صممت كي تبقي المشاهدين ملتصقين في مقاعدهم أمام الشاشة الصغيرة، وعيونهم مسمرة بها Glued to the screen .

ومن هنا فإن الموضوع يتعلق -بالدرجة الأولى- بسيطرة أولياء الأمور على توجيه حياة أطفالهم، وإنه لمن المحزن أن نقر بأنهم قد تنازلوا عن هذه السيطرة لمخططي برامج محطات التليفزيون الرئيسية ABC, CBS, NBC, PBS

وليكن معلوماً ومؤكداً أن الإنسان حين يتنازل عن السيطرة على مصير أبنائه وتوجيههم يكون من الصعب جداً استعادته تلك السيطرة من جديد.

إن التليفزيون يغري الأطفال إلى حد بعيد، وهو يستطيع أن يحتل عقولهم ويشغلها تماماً، ففي أيام السبت صباحاً*، حين يرغب الآباء والأمهات في أن يستمروا في النوم إلى وقت متأخر نجد أن برامج الكرتون التي تذاع في ذلك الوقت تشغل الأطفال، كذلك هناك ساعة أو ساعتان يترك الآباء والأمهات أبناءهم فيها أمام ذلك الجهاز، ويذهبون خلالهما للتبضع، أو لشراء حاجات الأسبوع. ونتيجة لهذه الأوضاع ولغيرها يكون الأطفال قد أُخبروا بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة بأن يسلموا أنفسهم للتليفزيون، وأعترف -وأنا والد لأطفال اليوم- أني أنا نفسي قد تعرضت لتلك الإغراءات في طفولتي. إن النقطة التي أريد توضيحها وإثباتها هنا هي أنه طالما ترك الآباء والأمهات أطفالهم أمام التليفزيون سواء كانوا يقصدون ذلك أم لا يقصدونه، فإن الأطفال سوف يتأثرون بذلك الجهاز العجيب.. سلباً وإيجاباً، وبهذه

* معروف أن العطلة الأسبوعية هي يوما السبت والأحد.. في أمريكا ودول الغرب عموماً.. المترجِم.

الطريقة يصبح التليفزيون . . أقصد مشاهدة التليفزيون تصبح عادة سريعة التمكن من الأطفال .

هذا وإن الغالبية من الناس قد يوافقونني على أن تحكم شبكات التليفزيون الرئيسية في أوقات الأطفال يعد من الأمور المخيفة فعلاً ، وبصرف النظر عن جودة البرامج وعن محتواها -مهما كانت- فإن الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون ست ساعات في اليوم ، أو حتى ثلاث ساعات ، هؤلاء الأطفال -على وجه اليقين- قد حرموا مما يمكن أن يعده معظمنا حياة الطفولة العادية .

ورغم أن لدينا آباء وأمهات أهملوا أولادهم وتركوهم كلية لمشاهدة التليفزيون ، تبقى صناعة ذلك التليفزيون ليست حرة على الإطلاق في مقابلة مسؤولياتها الاجتماعية بشكل كامل ووافٍ ، ولكن لا يزال الأمر -في نهايته- في أيدي الآباء والأمهات ، وإذا ما سيطروا على أوقات أبنائهم التي يقضونها في مشاهدة التليفزيون بغض النظر عما تقرر محطات التليفزيون الرئيسية وشبكاته أن تبث من برامج ومنوعات .

والنقطة التي أحب أن أؤكدها هنا هي أنه بغض النظر عن نوعية البرامج ، فإن الآباء والأمهات ليسوا في حاجة للتهديد

بخطورة آثار التليفزيون على أطفالهم فيما يتعلق بجرائم العنف والجرائم الجنسية. إن الآباء والأمهات الذين يضبطون أوقات أبنائهم في مشاهدة التليفزيون، سوف يرفضون -يقيناً- أن يجلس أبناؤهم لمشاهدة برامج تضرُّ بهم، أو حتى مجرد برامج ذات نوعية هابطة.

أما كيف يشاهد الأطفال التليفزيون، فإني قد لاحظت أنهم يفعلون ذلك شأنهم شأن غيرهم من الأطفال الذين يفعلون أي شيء آخر، بطرق مختلفة ومتنوعة. وإذا ما راقبنا الأطفال في مشاهدتهم للتليفزيون فإننا سوف نرى كل أنواع النشاط التلقائي التي يقوم بها الأطفال في نشاطاتهم المختلفة.

لقد لاحظت عدداً منهم، وكانوا من صغار السن من المراهقين، فكان بعضهم يأكل وهو يشاهد التليفزيون، والبعض الآخر يتحدث في التليفون، والبعض الثالث كان يجفف شعره، في حين كان البعض الرابع يتصفح بعض المجلات.. كل ذلك كان يحدث في الوقت نفسه الذي كانوا يشاهدون فيه التليفزيون. والأمر الوحيد الذي يؤكد أنهم كانوا «يشاهدون» التليفزيون كان هو التحرك نحو الجهاز، كما لو كان الإنسان يريد إغلاقه، إذ كانت الإجابة الفورية

تأتي حالاً «هيه . . إني أشاهد ذلك البرنامج»، وكانت هذه الإجابة تتركني دائماً أتساءل متعجباً كيف لم أتنبه للشيء الواضح أمام عيني . . !!

ومن جانب آخر فإن أحد مشاهدي التليفزيون من الصغار كان يبدو وكأنه منغمس تماماً في تتبع البرنامج ذاته، ولكن حينما تحدثت إليه كانت استجابته السريعة عبارة عن حركة من يده مع تعبير بسيط من فمه يقول لي : اصمت ولا تقطع حبل تفكيري مع أحداث البرنامج، في حين كان هناك عدد آخر من المشاهدين الصغار الذين كانوا يستديرون منتبهين فوراً لأي شخص يدخل عليهم الحجرة .

وتأكيداً «كيفية مشاهدة» الأطفال للتليفزيون، بل حتى الكبار، تعتمد على عدد من الأمور المحيطة بهم من بينها البرامج التي يشاهدونها، والعوامل التي تكوّن شخصياتهم . ونقطتي التي أحب أن أوضحها هنا هي أنه ليس كل ما يوجد على الشاشة الصغيرة مسيطراً على الصغار، كما أنه قد لا يستحق أو لا يستغرق كامل انتباههم، ولكن لا يزال أطفالنا يميلون إلى ترك التليفزيون «مفتوحاً»، وبدرجة تصغر أو تكبر هم «يشاهدون» ذلك التليفزيون، وهذا الوقت من «المشاهدة

غير المركزة» هو الذي ينبغي أن نهتم به ويعنينا كثيراً.

إن التليفزيون كرفيق دائم للأطفال، وهو كمكوّن للخلفية الثقافية لهم، وهو كقاتل لأوقاتهم، وهو -كذلك- كصارف انتباههم... التليفزيون ككلٍّ أولئك، قد انتهك -خطى ثابتة متئدة- كثيراً من الأمور في حياة أطفالنا وشبابنا. لقد أصبح التليفزيون من صميم عاداتهم، وربما وصلوا معه إلى مرحلة «الإدمان»، وهنا تكمن الحقيقة المؤلمة المحزنة وهي في كيفية سماح الآباء والأمهات والتربويين بحدوث ذلك الأمر. إن التليفزيون هناك، وهو دائماً مفتوح، وبعض الأفراد دائماً في منازلنا، وهم مستمرون على مشاهدته.. مشاهدة أي شيء، بدرجة تكبر أو تصغر.

إني أعتقد أنه إذا كان التليفزيون يستحق المشاهدة، فإنه من الواجب أن تكون مشاهدته بطريقة جيدة، وإذا كان الأطفال مسموحاً لهم بمشاهدته، فإنه من الواجب توجيههم نحو **مشاهدة «بعض البرامج»، «وليس كل البرامج»**. وبناء على ذلك فإن **أفضل البرامج التي ينبغي أن يشاهدها الأطفال تقع مسؤوليته على عاتق أولياء الأمور بالدرجة الأولى**، رغم أن المعلمين في موقع طيب يستطيعون من خلاله أن يساعدوا

أولياء الأمور في اتخاذ قراراتهم بهذا الشأن. ولنعلم جميعاً أنه بمجرد أن تظهر «عادات المشاهدة الأفضل للتليفزيون Better TV viewing habits»، وبمجرد أن تبدأ عملية التفرقة بين الغث والطيب من البرامج، وبمجرد أن تبدأ عملية الاختبار بين هذا وذاك. . . حينما يبدأ ذلك نستطيع القول بأن كثيراً من المشكلات المتعلقة بذلك الجهاز والإفراط في مشاهدته سوف تأخذ في الاختفاء.

إن أهدافنا ينبغي أن تتركز في مساعدة الأطفال على كيفية التعامل مع التليفزيون في حياتهم، بحيث يقل الوقت الذي يقضونه أمامه، ويقل كذلك الاستمرار في المشاهدة، وبحيث يكون هناك اختبار للمواد أو البرامج التي يشاهدونها، وسوف نتعرض في نهاية هذا الكتاب لعدد من الاقتراحات التي سنقدمها لأولياء الأمور والمعلمين الذين يريدون أن يحققوا الأهداف السابقة، ولكني أريد هنا أن أناقش كيف يمكن أن تحل العادات الطيبة في مشاهدة التليفزيون محل العادات السيئة.

وأنا -مدرساً للأدب- أجد أن قراء قصة Jane Eyre ليسوا هم قراء Harlequin Romances. (لا زلت أذكر أن

سخرية أطفالي الأولى من وجبات الهمبورجر، وعبارتهم التقليدية «همبورجر أخرى . . !! Hamburger Again» جاءت بعد أن تناولوا وجبة طيبة من شرائح اللحم الجيد) . إننا جميعاً نتذكر ونقدر الخبرات ذات النوعية الجيدة في حياتنا علماً أن هذه الخبرات الجيدة أو الطيبة لا تأتي بسهولة ويسر في الحياة، ولكن من خلال إصرارنا على النوعية وعلى الامتياز، سواء أكان ذلك في مجال الفن أم الطعام، أم حتى في أعمال الصين الرقيقة، إلا أنه يبدو بعيد الاحتمال أن نكون راضين تماماً عن التوسط أو الاعتدال في شؤون حياتنا اليومية، وهذا هو الوضع تقريباً للأطفال والتليفزيون .

هذا وإن أفضل ما أستطيع استخدامه في شرح ما أريد هو من خبرتي الشخصية، وبخاصة فيما أحسه تجاه هذا الموضوع، فعلى مدار الخمس عشرة سنة الأخيرة، أصبحت أكثر وعياً فيما يتعلق بأسلوبي وأساليب الآخرين في استخدام التليفزيون، ومن البداية أقول إني أستمتع حقاً بالتليفزيون، واستمتعت به خلال ذلك الماضي، ولكنْ كلما أكثرت التفكير فيما أشاهد أصبحت أقل ميلاً في مشاهدته . وكلما شاهدته أقل توقعت أن أحصل على خبرات جديدة في كل مرة من مرات المشاهدة .

إن التليــفــزيون العــادي لا يمنحني إلا أقل القليل الذي يستثير أفكاري ويتحداها، وقليل مما يقدم فيه يوقظ عواطف أو يحركها، وكذلك هو قليلاً ما يكون قادراً على إبقاء انتباهي مشدوداً نحوه، كما أنه نادراً ما يعطيني معلومات جيدة، كما أنه ليس بقادر على جعلي أكثر إنسانية مما أنا. ونتيجة لذلك نموت وليس لدي كثير صبر على التليفزيون، رافض لمشاهدة معظم ما يعرض على شاشته، أو في الأقل رافض لأن أشاهد أسخف العروض أكثر من مرة واحدة. إني شديد المغالاة في توقعاتي، لذا هي ذات نوعية عالية.

ومن جانبي أعتقد أني قد استفدت كثيراً من مشاهدتي للتـمـثـيليـات الآتيـة «Hill Street Blues»، «Norman Lear's»، «All in the Family» والتي سـاعـدتني حـقـاً على أن أكـون ناضـجـاً في أحكامي وفـهـمي للآخـرين، في حين حــرك الدمـــوع في عـــيني الفـــيلمُ التليـــفـــزيوني «Massada»، في حين دفعني للإغراق في الضحك ما كتبه مـــؤلف «Mary Tyler Moore Show»، وهـو نفس مــا تفعله التمثيلية الجيدة بأشخاصها المتقنين لأدوارهم. وأقصد تمثيلية «Family Ties».

وحتى أعمم خبرتي على عدد من معارفي الكبار في السن مثلي، أستطيع القول: إن هؤلاء الذين ينتقون ما يشاهدون على شاشة التليفزيون يجلسون أمامه فترات قليلة. إنهم مثلي تماماً، يميلون لمشاهدة برنامج طيب منتقى بعناية، وهم يتوقعون مما يشاهدون فوائد طيبة، وتجدهم دائماً يتحدثون بإعجاب عما يشاهدون. وعلى أية حال لم أسمع واحداً من هذه العينة الناضجة من الأصدقاء وهو يتحدث عن برامج مثل: «Three's Company»، أو «Love Boat» أو «Laverne and Shirley»، مع أني واثق أن هناك ملايين من كبار السن يشاهدون هذه العروض، وأن لديهم تأكيداً ما يقولون عنها تسويغاً لمشاهدتهم إياها*.

وأريد الآن أن أختم هذا الجانب بالحديث في موضوع أخير فيه، وهو «ما المقدار الذي يكفي من مشاهدة التليفزيون». . ؟؟ والواقع أن الإجابة عن هذا السؤال تعتمد على العناصر المهمة الآتية:

---

* هذه العروض الثلاثة التي أشار إليها المؤلف من العروض اليومية الدائمة في شبكات التليفزيون الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتدور كلها حول مواقف مفتعلة، وأحياناً تافهة ولا معنى لها، ولكنها في أغلبها تحاول إضحاك المشاهد بأية طريقة، وبعض حلقاتها هابطة إلى حد الإسفاف. . المترجِم.

- من الذي نريد أن نعهد إليه بتنشئة أطفالنا . . ؟

- ماذا نريد من أبنائنا أن يكونوا . . أو أن يصبحوا . . ؟

- مـا الـدور الذي نـريد من التليـفـزيون أن يؤديه في حياتنا . . ؟

إننا إذا كنا نشاهد برامج تليفزيونية متوسطة ومعتدلة، ونسمح لأبنائنا بمشاهدتها، فإننا في نفس الوقت نؤكد على هذا المعنى في شخصياتهم، أي التوسط والاعتدال.

أمـا تحـديد القـدر الكافي بشكل قـاطع من مـشـاهدة التليفزيون للأطفال، فإننا ينبغي أن نبدأ باستكشاف المقدار «الجيد» من البرامج على التليفزيون والذي قد نسمح لأبنائنا بمشاهدته. وطبعاً لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال لكل أسرة أمريكية، ولكني في الوقت ذاته أعتقد أن مجرد طرح السؤال والتفكير فه شيء إيجابي، وكان علينا أن نفكر فيه منذ زمن بعيد خطوة أولى على الطريق.

وإذا كان الآباء والأمهات ومعهم التربويون يريدون أن يكون لهم دور مباشر في مساعدة الأطفال على النمو، فإن عليهم أن يلتقوا معاً في محاولة جادة لاستعادة الأطفال الذين تركناهم، أو بمعنى أصح «أهملناهم» أمام التليفزيون.

كما أن عليهم أن يجلسوا سوياً كي يخططوا حتى لا يتكرر - في المستقبل- مشهد الأطفال الذين نهملهم أمام ذلك الجهاز. إننا حين نساعد الأطفال كي يتعلموا المشاهدة التي ينتقون فيها ما يشاهدون، ويميزون في ذلك بين الطيب والرديء، حينما نفعل ذلك إنما نساعدهم على أن يتعلموا كيف يشاهدون قدراً أقل من برامج التليفزيون، وعلى أن يروا الأشياء بعمق أكثر مما يفعلون الآن، وأنا أتصور أن خطة مثل هذه رغم بساطتها قد تستحق التجربة والمحاولة، نظراً لما تنطوي عليه من فائدة.

التليفزيون.. والخبرة الممتدة

حينما يشاهد الأطفال التليفزيون يبتعدون عن الخبرات الأخرى، ولكن هل الطفل المشغول بمشاهدة التليفزيون بعيد عن اللعب، أو عن القراءة أو حتى عن التحدث مع الآخرين بأسلوب مفيد. . ؟ الواقع أن هناك أنواعاً من الخبرات متاحة للأطفال على التليفزيون. وأريد أن نأخذ في اعتبارنا هنا الطرق التي يمكن أن نتبعها في اختيار البرامج التي يمكن أن توسع من خبرات الأطفال.

إن ذلك الجهاز العجيب. . (التليفزيون)، يمكن أن يكون حقاً نافذة على العالم Awindow to the world، حتى لو كان هذا العالم المرئي على الشاشة ليس منقولاً عليها بحساسية ودقة. إن الأطفال يمكنهم أن يجدوا الجمال والحق والثقافة والعطف والرقة على التليفزيون. أما كونهم لا يجدون كثيراً من هذه الأمور والخبرات الطيبة فذلك راجع

كنتيجة للمسموح لهم برؤيته أكثر مما هو راجع لتلك النافذة العالمية ذاتها.

ولعلنا ننظر بعين الاعتبار إلى الأوقات ومحتويات الخبرات التي مر بها «جون بوي والتون John Boy Walton» الممثل صاحب الشخصية الرئيسية في مسلسل «The Waltons». إن المشاهدين الذين يعرفون ذلك المسلسل لديهم قناعة بأن «جون بوي والتون» هذا شخص مثالي، مرتبط بأسرته، يقدر قيمة الحياة الحرة فوق «جبال والتون». كذلك هو على صلة شديدة بالطبيعة المحيطة به، وقد تبع في ذلك خطوات جده الأكبر، ولديه ثروة هائلة من الخبرات العريضة التي أتيحت له في حياته. وهذا الشخص لم يمتلك في حياته جهاز تليفزيون، حتى رحل إلى مدينة نيويورك، تلك التي لم يكن لديه أية فكرة عنها ولا عن مناظرها. وهو كذلك لم يشهد في حياته أحداً من الرؤساء الأمريكيين، ولم يمر طبعاً على سلاسل الأدب العالمية، كما لم يحضر حفلاً سمفونياً من قبل.. وكذلك لم ير الصحراء مطلقاً، وعلى ذلك مما لا شك فيه أن مدى خبراته في هذه الحياة كان محدوداً.

ومن جهة أخرى أطفالي أنا لديهم فكرة طيبة عن كل ما أمر به من خبرات حين أذهب لنيويورك، وما ذلك إلا لأنهم قد شاهدوا الكثير جداً عن هذه المدينة على شاشة التليفزيون. كذلك هم قد شاهدوا رؤساء الجمهورية عندنا، كما شاهدوا «السلاسل العالمية World Series». . وكل ذلك -طبعاً- على التليفزيون. لقد جابوا أركان العالم من خلال التليفزيون، وأصبحت لديهم معرفة واسعة ومسلية بثقافات العالم وفنونه، بل وبجغرافيته. . من خلال التليفزيون.

ولن أدعي الآن أن نوعية حياة أولادي أفضل من نوعية حياة «جون بوي والتون» القصصية، وذلك بسبب التليفزيون، ولكني أستطيع أن أقول إن حياتهم مختلفة، يقيناً، عن حياة تلك الشخصية التمثيلية، وربما أضيف أيضاً قائلاً إن حياتهم أغنى في خبراتها. . بسبب التليفزيون لا شك.

وللعلم فإن ما يشاهدونه على الشاشة الصغيرة ليس دقيقاً ولا صحيحاً دائماً، فجماعات الأقلية قد يساء عرض حياتها وأوضاعها على التليفزيون، ولكن أطفالي، على الأقل، لم يحدث أن فزعوا أو ارتبكوا حين رأوا على

الشاشة شخصاً من جنس آخر. أما والدي فقد كان فزعاً مرتبكاً، بل إنه لم يشعر بالارتياح حين رأى -أول مرة- رجلاً اختلف لون جلده عن لون جلده هو. إن التليفزيون يقدم للأطفال حوادث ووقائع تجعلهم يصدرون أحكاماً، ويجب علينا -نحن الكبار والمربين- أن نساعدهم في إصدار أحكامهم تلك.

إن الأطفال يستطيعون اليوم أن يروا أعظم عازفي السيمفونيات عندنا، وأن يستمتعوا بموسيقاهم من خلال جهاز «الاستريو». وهم كذلك يستطيعون أن يشاهدوا أعظم ممثلي العالم وممثلاته وراقصيه، كما يمكنهم رؤية أعظم ما أخرجته أو جادت به قرائح الكتاب. إن أطفال اليوم يستطيعون أن يقابلوا الناس الطيبين الذين يهتمون بأمورهم وأمور مجتمعهم، مثل: «فريد روجرز Fred Rogers»، «ميخائيل لاندون Michael Landon»، «وولتر كرونكايت Walter Cronkite»... إلخ.

إن أخبار التليفزيون اليوم تعرف الأطفال بالعالم الذي يعيشون فيه، وبالأشخاص الذين يشكلون حياتهم، ومن خلال برامج مثل «نوفا Nova»، والبرامج الخاصة بالجغرافيا

الوطنيـــة «National Geographic Specials» يســتطيع الأطفـال أن يروا عظم الحيـاة وتعـقـدها في الكوكـب الذي يحيون عليه، ومما لا شك فيه أن الأطفال منذ أربعين عاماً لم يكن لديهم شيء يقارن بهذه الفرص الرائعة.

إنه مما لا شك فيـه ولا جـدال أن التليـفـزيون يسـهـم في تثـقـيف الأفـراد الذين يشـاهدونه، كـمـا أنه يضـيف إلى نضجهم، وسواء أحببنا ذلك أم كرهناه، لا بد أن نعترف بأنه كلمـا كـان المشـاهدون أصـغـر سناً، وكـانت مـشـاهدتهم للتليفزيون أكثر، فإن ذلك الجهاز يكون تأثيره أكبر من حيث تشكيل قناعـاتهم وآرائهم. إن كل البـرامج التليـفـزيونيـة تربي*، ولكن بعض هذه البـرامج فـقط هي التي تربي تربيـة إيجابية تعمل على بناء الإنسان.

إن أي طفل في سن الثانية عشرة سوف تسحر لبه «قصة البـؤسـاء Les Miserables» حين يشـاهدها على الشـاشـة الصغيرة إذا ما سبقها بعض الإعداد وإعطاء الفكرة التي تسبق مشاهدة عـرضـهـا، شـريطة أن يكون الشـخص الذي يعطي

* ينبـغي أن يتنبه القارئ لهذا اللفظ، فـهناك تربيـة طيبـة تبني الإنسـان، وتنشئه على القيم الطيبة، وهناك تربية فـاسدة أو مفـسـدة، وهي عكس ذلك طبعاً.. ولكنها توصف بأنها.. تربية.. المترجِم.

الفكرة المسبقة شخصاً مثقفاً ناضجاً، وأن يكون جالساً مع الطفل يستمتع معه بعرض القصة، بحيث يعطيه فرصة بعد ذلك لمناقشة أحداثها، وكذلك للحديث حول إحساسه بما رأى. إنه حتى الطفل ذو خمس السنوات يتأثر بالجوانب القيمية التي يقدمها Charles Schultz من خلال الشخصيات التي يمثل أدوارها.

بل إنني قد أتساءل عمن لا يستفيد -من بيننا نحن الكبار- من البرامج الأسبوعية التي تحكي قيم الطبقة الوسطى، والتي تظهر في عروض نعرفها مثل «الأيام السعيدة The Happy Days»، وبخاصة شخصية Arther "The Fonz" Fonzarelli..

لقد كان العرض المسمى «The Aecent of Man» أكثر من رائع، وإني لأتصور أن الإعجاب والانبهار بالعالم قد استيقظا في أعماق ابنتي الكبرى من خلال دور «كارل ساجان Carl Sagen» في تمثيلية «Golly! Gee wbiz»، ومن خلال الرحلات في «Cosmas»، والعلم والطبيعة التي قدمت للعالم، لا زالت تعني لابنتي خبرات هائلة لا يمكن أن يساويها شيء آخر في حياة طفل عاش قبل أربعين عاماً.

هذا وإن أية خبرات -مهما كانت موسعة وعميقة- للأطفال مع التليفزيون تعتمد بالدرجة الأولى على توجيه الكبارلهم، وعلى تشجيعهم وتيسير الأمر لهم. إننا نعلم أننا بمساعدتنا للأطفال في تعلم القراءة والكتابة، وبتوجيههم فيما يقرأون، إنما نجعل من الكتب طريقاً ممهداً إلى المعرفة وإلى خبرات بلا حدود. وبناء على ذلك أعتقد أننا ينبغي أن نتقدم في الطريق نفسه فيما يتعلق بالتليفزيون، لأن التليفزيون يمتلك الإمكانية نفسها التي بالكتاب وربما أكثر، والتي من خلالها يمكن توسيع وتعميق حياة الطفل، بل ويمكن جعلها أكثر ثراء وبهجة.

إن تعلم استخدام التليفزيون بطريقة جيدة يشبه كثيراً جداً تعلم استخدام الكتاب استخداماً نافعاً ومفيداً، وهذا هو الباب الذي ينبغي أن ينفذ منه الكبار، وبخاصة المعلمون، وذلك إذا أدركنا أهمية القيم التي يمكن أن يقدمها التليفزيون. إن على المدارس واجب أن تقدم «تربية تليفزيونية TV Education» لعالم يعيش عصر التليفزيون. كذلك من المتحتم على المدارس أن تدرس بعض الأمور **عن** التليفزيون، وكذلك ينبغي عليها أن تدرس **من** التليفزيون،

فالتدريس عن التليفزيون ينبغي أن يعطي خلفية عن التليفزيون بوصفه عملاً تجارياً As business ، كما يتضمن ذلك التدريس العوامل الاقتصادية التي تفرض أن يكون التليفزيون على ما هو عليه بوضعه الحالي ، ووضعه الذي سيكون عليه في المستقبل .

إننا ينبغي أن نصمم أنماطاً من المناهج تساعد الأطفال على مشاهدة التليفزيون يأتي جزءاً من الوسائل الإعلامية الشاملة والمتداخلة مع بعضها ، وبوصفه -كذلك- جزءاً من بيئة الاتصالات الهائلة التي نعيشها . ومن ناحية أخرى كذلك ينبغي أن يدرس تاريخ تطور التليفزيون والتوقعات المتعلقة به في المستقبل ، إضافة إلى تدريس الطرق المختلفة التي تجعل الوسيلة الإعلامية أكثر استجابة لحاجات الناس .

أما عن منهج التليفزيون ، أو المنهج الذي ينبغي أن يدرس عن التليفزيون فيمكن أن يتعرض لأسئلة مثل الأسئلة التالية :

١ - ما التطورات التقنية التي جعلت من التليفزيون ما هو عليه اليوم . . ؟

٢- ما أنواع وأشكال التسلية التي يمكن أن نقتفي أثر

التليفزيون المعاصر وصولاً إليها، بحيث جعلته كما نرى اليوم. . ؟

٣- ما الكيفية التي تختار بها برامج التليفزيون، وكيف يجري تطويرها. . ؟

٤- لماذا تعمد شركات التليفزيون الكبرى المتنافسة Net-works إلى بث برامجها الطيبة المفضلة خلال الأوقات نفسها. . ؟

٥- كيف تستطيع صناعة التليفزيون TV induatry أن تقرر ما يحبه الناس، أو ما سوف يحبونه. . ؟

٦- إلى من يكتب أي شخص -محتجاً- حين يجد عرضاً مزعجاً أو هزيلاً. . ؟ وكذلك حين يجد برنامجاً ممتازاً. . ؟ وماذا عليه أن يقول. . ؟

٧- كيف يمكن أن يصبح الأفراد منغمسين في المجتمع التليفزيوني المحلي. . ؟

٨- ما القرارات التي ينبغي اتخاذها في المستقبل فيما يتعلق بالتقنيات الجديدة، وفيما يختص بالتنظيمات الحكومية المتعلقة بها. . ؟

٩- ماذا نعرف عن الأبعاد التي يمكن أن يؤثر بها التليفزيون سلباً في نوعية حياة الأفراد . . ؟

١٠- ماذا نعرف عن مدى تأثير الانتقاء والتمييز عند مشاهدة برامج التليفزيون في تحسين نوعية حياة الأفراد . . ؟

١١- متى نستطيع القول إن جهاز التليفزيون وسيلة إعلامية متفردة ومتميزة . . ؟

١٢- ما الجوانب التي يشارك فيها التليفزيون وسائل الإعلام الأخرى . . ؟

وفي نهاية هذه القائمة من الأسئلة ، لا أستطيع ادعاء أنها شملت كل شيء ، ولكنها على الأقل تقدم أفكاراً عن التليفزيون على شكل أسئلة ينبغي أن يجيب عنها كل من يشاهده . أما فيما يتعلق بمستوى الأطفال الدراسي ، وفي أي صفوف يكونون ، وبأي الطرق ينبغي أن نساعدهم ، أو أن نبدأ في مساعدتهم في الإجابة على هذه الأسئلة ، فكل ذلك يصبح من السهل الإجابة عن بمجرد أن نصبح على قناعة تامة بأن هؤلاء الأطفال ينبغي أن يسعوا لاكتشاف آثار التليفزيون في حياتهم .

وسوف يخصص الجزء المتبقي من هذا الكتاب لعرض عدد من التوصيات التي توضح كيفية تحقيق وتنفيذ مناهج عن التليفزيون في المدارس، ولكن قبل ذلك هناك بعض الحقائق الأساسية المتعلقة بالتليفزيون، والتي ينبغي علينا جميعاً أن نعيها ونفهمها. لقد كنت من وقت قريب أتحدث إلى طائفة من أبناء مجتمعنا المحلي، وكانوا في معظمهم من العاملين في الجامعة، ولقد سألني واحد منهم السؤال التالي: «لماذا يصرون في محطات التليفزيون على تقديم عرضين شيقين طيبين في الوقت نفسه، أو في ذات الوقت. . ؟» إن هذا السؤال وأسئلة أخرى كثيرة تشبهه قد جاءتني من كثير من الناس، وبخاصة من المثقفين منهم، وهي كلها تشير -في حقيقة الأمر- إلى عدم معرفة الناس وجهلهم باقتصاديات وسائل الاتصال، والتي هي جزء من حياتنا.

وأسوأ من ذلك أن معظم الأطفال (والكبار) إنما يعرفون ما يعرفونه عن التليفزيون ما «تعلموه» من التليفزيون ذاته، أي أن صناعة التليفزيون كانت خلف ذلك التعليم. إن هذه المؤسسة علمت أطفالنا ألا ينتظروا شيئاً من التليفزيون سوى

الأفلام المتحركة، أو الكرتون، صبيحة كل سبت. إن منهج هذه الصناعة هو أن تعلمنا أنه من الأمور المتقبلة أن تكون نشرات الأخبار أقرب إلى التسلية منها إلى الأمور الجادة والمهمة، وأن تكون أقرب إلى استعراض للشخصيات منها إلى التحليل العلمي والمعالجة الواعية للأحداث المعقدة.

لقد علمتنا وعودتنا شركات التليفزيون الكبرى ومحطاته الرئيسية، أن نتقبل ونتحمل عشر دقائق من الإعلانات التجارية في كل ساعة من ساعات البث التليفزيوني، كذلك علمونا أنه حتى رغم أنهم يقبضون مبالغ طائلة في إذاعة الإعلانات التجارية التي لا آخر لها، لا يستطيعون -ربما- أن يحصلوا على أموال كافية إذا كانوا سيبثون برامج تعتمد على البعد عن التوسط والاعتدال. لقد تعلم الجمهور الأمريكي هذه الدروس ووعاها جيداً، رغم أنه لا يوجد ظل للحقيقة في أي شيء اجتهد أصحاب هذه الصناعة في تعليمنا إياه بحيث نصبح من المؤمنين به. والشيء المثير للحزن هو أن مدارس أمتنا لم تقدم لأطفالنا مناهجها الخاصة التي يفترض فيها أن تقل في تعصبها وتحيزها، وأن تكون أمينة، أو أكثر أمانة من مناهج التليفزيون.

إن التعليم من خلال التليفزيون مهم بلا شك، وهو كذلك مفيد. وإذا كنا ونحن ندرس <u>عن</u> التليفزيون نضع في اعتبارنا أننا نسعى لتخريج مواطنين أكثر معرفة، فإن التدريس <u>من</u> التليفزيون له هدفه المبدئي وهوتخريج مشاهدين يتميزون بالحساسية وبتقدير ما يشاهدون. وأعترف أني أجد إشكالاً كبيراً في فهم الكم الهائل من الأمور المشاهدة على شاشات التليفزيون، والتي تكاد تخلو من العقلانية، والتي تؤثر طبعاً في أفراد المجتمع، وما يعنيني أكثر هو قلة التفكير الناقد من جانب مجتمعنا فيما يبث له من برامج.

إن من أفضل الأمور التي يمثلها التليفزيون أنه شكل تعبيري قوي عن الفن، وأن أفضل ما في ذلك أنه يمكن أن يعمل على جعلنا بشراً أفضل. وهذا الجانب في حد ذاته يسوِّغ المطالبة بوجود منهج عن التليفزيون في المدارس. وعندما يبدأ المعلمون في ربط ما يمكن تعلمه من التليفزيون في المناهج التي يدرسونها سوف يكتشفون الفائدة الكبرى في ذلك، وكيف أن هذا الذي يمكن تعلمه من التليفزيون سوف يثري ويعمق كثيراً مما يحاولون توصيله إلى الطلاب.

كما أني قد أتعجل الأمور فأضيف أن التعليم من التليفزيون لا يمثل الدواء الشافي من جميع العلل والأمراض، كما تصوره بعض المعلمين أن يكون، ولا هو كذلك الشيء السطحي التافه الذي ينظر إليه بعضهم الآخر. هذا وإني لأتمنى أن يأتي اليوم الذي نشجع فيه قراءة الكتاب كأسلوب لفهم التليفزيون، كما نستخدم تماماً مشاهدة التليفزيون هذه الأيام كثيراً طريقة لجذب الطلاب أو الشباب الصغار لقراءة الكتب. وحينما نستطيع استخدام التليفزيون وسيلة يمكن أن تغني العقل البشري وتثريه، وأن توسع الخبرة الإنسانية وتعمقها، وأن تزيد من معلوماتنا، وأن ترفع من روحنا المعنوية، إذا استطعنا أن نفعل ذلك حقاً فإن نوعية الحياة التي نعيشها سوف تتحسن كثيراً بلا شك.

ولكي نتأكد من ذلك نقول إن التليفزيون يمثل مشكلات كثيرة لأولياء الأمور والمعلمين معاً، وكما تخيل E. B. White جانبي الخير والشر، أو الوعود والمشكلات التي يمكن أن تنتج عن التليفزيون، وكان ذلك في وقت مبكر من عام ١٩٣٨م، ولنقرأ ما كتبه في مجلة Harper's Magazine:

"إن أخبار التليفزيون هي التي أبحث عنها حينما تواتيني الفرصة لقراءة الصحيفة، وما ذلك إلا لأني أعتقد أن ذلك الجهاز سوف يكون هو الاختبار الحقيقي للعالم الحديث، وكذلك أرى أنه من خلال هذه الفرصة الجديدة لكي نرى أبعد مما يقع عليه بصرنا. إننا سوف نكتشف إما اضطرابا جديداً لا يمكن تحمله ضد السلم العام، وإما شعاعاً منقذاً يهبط علينا من السماء. إننا سوف ننهض أو نسقط.. بالتليفزيون We shall stand or fall by Television.. هذا هو الأمر الذي أنا واثق منه غاية الوثوق".

أما إذا كنا سننهض أو نسقط.. بالتليفزيون، فذلك أمر سوف يتقرر فيما بعد، ولكن الكاتب E. B. White استشعر بالفعل احتمالات تأثير جهاز التليفزيون في ثقافتنا، وكان إحساسه -بالفعل- في غاية الدقة. **إن حياة أطفالنا سوف تتحسن أو تدمر عن طريق الكيفية التي يستخدمون بها التليفزيون، أو عن طريق الكيفية التي يستخدمهم التليفزيون بها..!!** أما الأمر الذي يهمني جداً، وأعده حاسماً فهو أن

يعطي المربون أهمية وانتباها متوازيين ومعقولين للتليفزيون بوصفه جزءاً من المنهج المدرسي. أما إذا قصروا في ذلك فإنهم سوف يفتحون الباب للسؤال عن دور التليفزيون الذي سوف يؤديه في حياة الأطفال والذي لا يمكن أن تكون إجابته في إهماله أو محاولة نسيانه.

أما أولياء الأمور الذين رضوا لأنفسهم بأن يجلسوا قانعين مطمئنين، في حين يتولى التليفزيون العناية بأبنائهم وتربيتهم نيابة عنهم، فهؤلاء لا يحتاجون لعمل شيء آخر، حيث إن صناعة التليفزيون يمكنها أن تقوم بهذه المهمة كاملة، وذلك عن طريق مواصلة ما تقوم به الآن حقاً*.

إن ترك مشكلات التليفزيون دون معالجة سليمة ومواجهة جادة، وترك إمكانيات التليفزيون دون تطويرها في الاتجاه السليم يؤدي بالتربويين إلى أن يتركوا مستقبل الأطفال من المشاهدين في الظلام، مع أمل قليل في وصول الضوء إليهم من خلال قنوات بها شيء من النور القليل الذي يضيء نفوسهم، وكان من الممكن أن يجعلوا منهم أطفالاً

---

* واضح أن الكاتب يسخر هنا من هذا الصنف من أولياء الأمور الذين يتركون أطفالهم لمؤسسة التليفزيون، كي تربيهم نيابة عنهم..!! المترجِم.

قادرين على السير في الاتجاه الصحيح في الحياة الإيجابية المثمرة.

إن التربويين حين يسمحون لأنفسهم بأن يجلسوا دون أن يفعلوا شيئاً، فإنهم إنما يساعدون على زيادة الآثار السلبية للتليفزيون، بل وعلى تخليدها، وحينئذ سوف تهرب منا فرص الاستفادة من الإمكانات الإيجابية الهائلة لهذا الجهاز.. سوف تهرب من منازلنا وكذا من المدارس.

توصيات لتنمية وتطوير منهج تربوي للتليفزيون في المدارس

يمكن تلخيص تلك التوصيات فيما يلي :

١- إن المنهج الجديد للتليفزيون ينبغي أن يمد الطلاب بنماذج واضحة تبين لهم الاستخدامات الذكية للتليفزيون، حيث إن معظم الطلاب ليس لديهم هذه النماذج التي تؤدي الأدوار المناسبة لاستخدام جيد ومناسب للتليفزيون.

٢- إن التربية التليفزيونية، أو بمعنى أصح . . «تربية التليفزيون TV Education» ينبغي أن تأخذ في اعتبارها التدريس عن التليفزيون، والتدريس من التليفزيون، حيث إن كليهما مهم في فهم كيفية تحديد كيف يتعلم الطلاب استخدام التليفزيون.

٣- إن «تربية التليفزيون» سوف تتطلب مشاهدته في

المدرسة، حيث إن تعلم ركوب الدراجة لا يمكن أن يتم بدون الدراجة، لذا يتطلب التعليم عن التليفزيون ومنه مشاهدته.. دون شك تحت إشراف المعلمين.

٤- إن المنهج المطلوب أخذه عن التليفزيون ينبغي أن يرمي إلى تمكين التلاميذ من التأثير في طرق استخدام التليفزيون في المجتمع، وبهذه الطريقة سوف ترغم شركات التليفزيون على أن تستجيب لرغبات أفراد المجتمع الواعين والمتعلمين.

٥- «تربية التليفزيون» ينبغي أن تسعى لإشراك أولياء الأمور، حيث إنهم يجب أن يعرفوا كل ما يعلم لأبنائهم وبالتالي يؤثر في حياتهم.

٦- ينبغي أن يعلم منهج التليفزيون هذا على أنه غاية في ذاته، وذلك لأهميته وخطورته وتأثيره في حياة أطفالنا.

٧- من المحتم أن يعلَّم منهج التليفزيون من خلال معلمين يفهمون التليفزيون.

أولياء الأمور.. وبعض القواعد التربوية في استخدام التليفزيون

هناك بعض القواعد المحددة التي يسهل اتباعها في المنازل، بشأن مشاهدة أطفالهم للتليفزيون، وهي تزيد من فائدة مشاهدتهم له، وتقلل من الجوانب السلبية التي تحدث الآن. هذه القواعد هي:

١- كونوا متأكدين دوماً أن أطفالكم لديهم سبب جيد ومحدد لمشاهدة ما يبغون مشاهدته، وإذا لم يكن لديهم هذا السبب، أو فكرة واضحة ومحددة عما يشاهدون فبادروا فوراً إلى إغلاق الجهاز.

٢- ينبغي أن تصروا على أن يشاهد أطفالكم برنامجاً واحداً في الجلسة الواحدة، إذ إنه من النادر جداً أن نجد برنامجين يستحقان المشاهدة يذاعان واحداً وراء الآخر

مباشرة، ومن هنا ينبغي أن تقللوا -قدر المستطاع- من عملية استمرار المشاهدة.

٣- تدخلوا للحد من «المشاهدة التلقائية Spontaneous Viewing»، وخططوا لجلسات مشاهدة لكل أفراد العائلة مسبقاً، حيث إنه بدون التخطيط.. بل بدون وضع جدول للمشاهدة، يصبح من الصعب ضبط عملية المشاهدة وطول مدتها.

٤- ينبغي أن يكون هناك واحد من أولياء الأمور ليتقاسم المشاهدة مع طفله أو أطفاله، إن هذه القاعدة وحدها يمكن أن تكون ثورة في عالم مشاهدة التليفزيون للأطفال، بل ولاستخدام التليفزيون عامة في الولايات المتحدة الأمريكية.

٥- فتشوا عن برنامج واحد -على الأقل- يكون ممتازاً، كل أسبوع، واجعلوا منه خبرة طيبة يستفيد منها الأطفال، بحيث يمكن أن يثار -بعد مشاهدته- عدد من الأسئلة، أو أن تنظم رحلة إلى الخلاء، أو زيارة المكتبة أو غيرها.

٦- راقبوا جيداً ما يشاهده أبناؤكم. إن البعض منكم قد يصابون بالدهشة حين يفعلون ذلك، وكونوا إيجابيين بالتدخل إذا تطلب الأمر ذلك.

٧- لا تستعملوا التليفزيون، أقصد مشاهدة التليفزيون، عقاباً أو ثواباً، إن معظم الأطفال لديهم تقدير خاص له، فلا تعملوا على زيادة هذا التقدير، ولا تدفعوهم نحو الرغبة فيه أكثر.

٨- كونوا نماذج طيبة لأبنائكم، وراقبوا أنفسكم وحاسبوها فيما تشاهدون على الشاشة الصغيرة، واسألوا أنفسكم -بأمانة- عن البرامج التي تسمحون لأنفسكم بمشاهدتها.. وفكروا.

٩- شجعوا غيركم على فكرة تدريس التليفزيون في مدارس مجتمعاتكم المحلية، حيث إنها لم تصبح فكرة شائعة بالقدر الكافي بعد.

خاتمة

ونصل -بهذه القواعد أو ا النصائح- إلى نهاية هذا الكتاب التربوي الممتع الذي جمع فيه مؤلفه -د. . ديفيد إنجلاند- بين الخبرة والعلم وكذا الوعي بأبعاد تأثير جهاز التليفزيون العجيب في الأطفال.

وقد تعامل الرجل مع من يهمهم الأمر . . في البيت . . والمدرسة، وإن كان لم يتناول العقليات والجهود التي تقف خلف هذا السيل الجارف من البرامج التليفزيونية التي تشغل آلاف الساعات، والتي تؤثر طبعاً في المجتمع كله. ولكن يكفي الرجل أنه وضع أصابعه على عدد من النقاط المهمة التي تعني طرفين أساسيين من أطراف العملية التربوية، وهما: الأسرة والمدرسة، ونرجو أن نستفيد نحن أفراد المجتمع العربي عامة مما كتب هذا العالم، ومما يكتب غيره، فالحكمة ضالة المؤمن . . أنى وجدها فهو أحق الناس بها، والله الهادي إلى سواء السبيل . . سبحانه.

المترجم